د. كمال عجالي

الفكر الإصلاحي في الجزائر



الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة و التجديد

عاصمة الثقافة العربية

ISBN : 978-9947-24-191-2

صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
يُهدى ويُوضع في المكتبات ولا يباع

د. كمال عجالي

الفكر الإصلاحي في الجزائر

الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة و التجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى ولديّ الصغيرين آية ومحمد المنصف

إلى أماني ووائل....وأمهم.

تصدير

الشيخ الطيب العقبي (1889-1960)علم من أعلام الإصلاح و الوطنية في القطر الجزائري، و هو أحد الثلاثة المتصدرين للحركة الإصلاحية في الجزائر خلال سنوات العشرينيات و الثلاثينيات من القرن العشرين و أعني بهم الشيخ عبد الحميد بن باديس و محمد البشر الإبراهيمي ثم الطيب العقبي رحمهم الله جميعا . و بالرغم من اتفاقهم هم الثلاثة في الأهداف فهم مختلفون في المذهب و الوسائل و الأولويات يستحق كل واحد منهم بحثا مستقلا للكشف عن رؤيته و منهجه و وسائله.

و الأستاذ الزميل الدكتور كمال عجالي هاهو يقدم لنا في بحثه هذا بعضا من ملامح الخطاب الإصلاحي و مجالاته في تراث الشيخ الطيب العقبي.

و الحقيقة التي لا تنكر أن الزميل الدكتور عجالي جدير أن يضطلع بهذا العمل لإطلاعه الواسع على أدب و فكر الحركة الإصلاحية الجزائرية، و خاصة عند الشيخ الطيب العقبي الذي قدم عنه بحثا قبل هذا العمل و الموسوم بـــ: (الطيب العقبي أديبا) لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب الحديث.

بارك الله في زميلنا الدكتور عجالي و متعه بصحته.وكان الله في عون كل مخلص لدينه و وطنه و لغته في هذا الوطن العربي المسلم الولود الذي هو في أمسّ الحاجة إلى جهود أبنائه؛ جهود العلم و البحث .

الأستاذ، د/ محمد زرمان
أستاذ الفكر الإسلامي و رئيس قسم التاريخ
كليةالآداب و العلوم الإنسانية جامعة العقيد الحاج لخضر
باتنة في: **2004/04/16**

مقدمة

أتقدم إلى القراء الكرام بهذا العمل المتواضع لأجلي فيه بعضا من ملامح الخطاب الإصلاحي و مجالاته في تراث الشيخ الطيب العقبي، قاصدا بذلك تجلية وكشف كثير من الأفكار و الرؤى في خطاب العقبي الإصلاحي مبينا أن أهم المجالات التي تطرق إليها الرجل فأبان رحمه عن فكر إصلاحي أصيل ورؤية واضحة ثابتة سنادها الصحيح من الدين الإسلامي زيادة إلى عمق في التفكير وسعة في الثقافة و تنوع في مصادرها .

و قد تبين من خلال هذا البحث أن الطيب العقبي مصلح من الطراز الأول، و شخصيته ثرية الجوانب متعددة الاهتمامات، يجد ذلك القارئ الكريم في الفصول المخصصة لهذا الغرض.و سيعرف القارئ الكريم أن الطيب العقبي أثبت أنه رجل مصلح أسهم برؤيته وبتوجيهاته في مجالات متعددة منها الديني و الاجتماعي و الثقافي و السياسي. الأمر الذي يبدد تلك التصورات القاصرة أو المغرضة عن الرجل و عن مواقفه. و كل ذلك بصريح عباراته و كتاباته المسطورة و المنشورة في جرائد موثقة و معروفة كما يبدد هذا البحث تلك التهم الباطلة التي كانت تصم رجال الإصلاح في الجزائر و لا تزال، بالقصور و الرجعية و قلة الخبرة في السياسة و التقلب مع الأيام و عدم الثبات على الموقف. و الحقيقة التي لا ينكرها إلا جاحد أقول إن أكثر ذلك ناتج عن أفكار مسبقة و مواقف معادية دون دراسة أو بحث جدي خالص و مخلص لإثبات الحقيقة و إنصاف الناس و شكرهم على صدقهم في المواقف أمام عدو غشوم كان و مازال يشكك في هويتنا و ديننا و لغتنا و جدارتنا بحكم بلادنا و تسيير شؤوننا بما يناسب خصوصيتنا، و يدخل أنفه في كل شئ و يحرك دُمَاهُ هنا و هناك بين الفنية و الأخرى و لكن خاب فأله و خاب فأل المرجفين ممن أصطنعهم ورباهم على عينه ليكونوا حرابا في نحورنا. فرجع هو و إياهم مدحورين بفضل ما بناه رجال الإصلاح من رجالات الجزائر أمثال ابن باديس و الإبراهيمي و العقبي و الميلي و التبسي و محمد العيد الذي قال :

ثورة الشعب أنتجت ثورة الشعـــب و عـــادت عليه بالآلاء

و كما كانوا جبالا راسيات و أطوادا شامخات سيكون أحفادهم و أتباعهم جنودا للحفاظ على الجزائر.و هويتها بالقلم و الشباة. إمامهم باديس و شيخهم الابراهيمي أمير البيان الرئيس و أستاذهم العقبي المعدن النفس و إنا على عهدهم لماضون .

و ليخسأ المرجفون في كل عصر.و في كل مصر و في كل كفر و في كل قصر.

د/ كمال عجالي

أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية

كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة باتنة

باتنة في : 2004/04/16 .

تمهيد

أوضاع الجزائر

أ ـ الوضع السياسي.
ب ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي.
ج ـ الوضع الثقافي.

أ ـــ الوضع السياسي:

عرف القطر الجزائري بداية لهضة حديثة منذ العشرينات من هذا القرن، مثله مثل بقية الأقطار العربية[1] و خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، (1914-1918م).و الباحث في شخصية الطيب العقبي و غيره من رجال الحركة الإصلاحية، يتحتم عليه معرفة الظروف و الملابسات التي أحاطت بهم و أثرت فيهم و في نتاجهم.

و للحقيقة و التاريخ، أن عصر العقبي مليء بالمؤثرات المختلفة سياسية و احتماعية و ثقافية و فكرية كان لها دور فعال عليه وعلى زملاءه وكذلك عليهم وكذلك على سيرهم الإصلاحية فيما بين 1920-1954م.

و لقد عرفت الجزائر نشوء الأحزاب و المنظمات السياسية كقناة للتعبير و المطالبة و النضال من أجل الحقوق المهضومة، بدل الثورات الشعبية و الانتفاضات التي كانت تقوم هنا و هناك خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

و ما هذه الأحزاب و المنظمات السياسية إلا امتداد للفترة التي سبقتها في القرن السابق،[2] ووسيلة جديدة للمقاومة السياسية بدل المقاومة العسكرية، التي بقيت فلولها إلى غاية 1912 [3] فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى و التي شاركت فيها الجزائر إلى جانب فرنسا بصفة جبرية و بمقتضى قانون التجنيد الإجباري[4] سافر وفد بقيادة الأمير خالد الهاشمي[5] إلى باريس يحمل مطالب الجزائريين، إلا أنه لم يحصّل شيئا ملموسا.

---

1 - انظر، لوثروب ستيوارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي، مج 1 ج 1 ص 308.
كذلك أنظر، د/ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ص 320.

2- انظر، Ahmed Mohsan, le mouvèment révolutionnaire en algérien du la 1ere guerre mondial a 1954,p6.

3- انظر، مولود قاسم، آنية و أصالة، ص 176-177.

4- صدر القانون الإجباري للتجنيد في الجيش الفرنسي سنة1912 و ذلك بموجب مرسوم 31 يناير و 3 فبراير 1912 م.

5- انظر بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ص 113 و ما بعدها.

بعد عودة الأمير خالد من باريس نشط في حركته هو و بعض المثقفين من النخبة و سعى إلى تأسيس حزب "كتلة النواب" و استعانوا على توصيل أفكارهم بجريدة "الإقدام"[6] التي كانت منبرا لتحقيق مطالبهم[7]. غير أن السلطات الفرنسية لم تتركه يعمل بحرية، بل ضيقت عليه الخناق و لاحقته في داخل الوطن و خارجه، بعد أن ظهر لها من نشاطه و تأثيره في الساحة و الجماهير[8].

و إثر ذلك تحرك الجزائريون و تطلعوا إلى حياة أفضل مطالبين بالحقوق و مذكرين بما يقومون به من واجبات تجاه السلطات[9] نتيجة لاحتكاكهم و معرفتهم لما حدث حواليهم[10].

كان ذلك في الجزائر أما في فرنسا حيث الجالية الجزائرية، فقد تأسس" نجم شمال أفريقيا" في باريس العاصمة الفرنسية.

و كذلك الحال، فقد عرفت الجزائر نشأة حزب أعضاؤه من الليبراليين و المثقفين بالثقافة الفرنسية أمثال فرحات عباس و الدكتور محمد الصالح بن جلول الذين كان لهما دور فعال في الساحة السياسية و الوطنية في الثلاثينات من هذا القرن[11].

و إلى جانب ما سبق، فقد تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5ماي 1931م و التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الوطنية الجزائرية و على الرغم من أن هذه الجمعية ليست حزبا سياسيا "حيث قد اتجهت الجمعية وجهة المقاومة الدينية الثقافية الوطنية، فأقبلت الجماهير على الانخراط فيها و التحمس لها بوضعها تيار مقاومة"[12].

و الحقيقة إن الدارس لهذه الفترة من تاريخ الجزائر الحديث، يلحظ أن جمعية العلماء "... قد حاولت في قانونها الأساسي تجنب الصدام مع الإدارة فنصت على عدم الانشغال في السياسة، و صبت جهودها أول الأمر على برامج شبيهة ببرامج السلفية الهادفة إلى تنقية

6- انظر، د/ أحمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 48.

7- انظر، د/ أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ص 417 و ما بعدها.

8- انظر، عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام الجزء الرابع، ص 478.

9- انظر، شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ص 115.

10- انظر، فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 139-140.

11- للمزيد انظر، عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي و السياسي ج1 ص332 و ما بعدها.

12- محمد الطيب العلوي مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830.

الدين من البدع و الخرافات لكن سير الحوادث ما كان يسمح لها بمقاطعة السياسة، فخاض زعماؤها في أمور سياسية تتعلق بمصير البلاد"[13].

في هذه الفترة- سنوات الثلاثينات- ارتفع وعي الجزائريين فأصبحوا يعون بقدر كبير ما يحيا بهم و يحاك لهم من مخططات استعمارية، تهدف إلى ضرب الجزائر و شعبها في العمق، قصد طمس الشخصية و محو الهوية بكل عناصرها[14].

كما انتقل نشاط حزب نجم شمال أفريقيا إلى الجزائر سنة 1934 بعد أن كان في المهجر و انتشرت أفكاره الداعية إلى التحرر و الاستقلال عن فرنسا في الأوساط الشعبية[15] و أسس له فروعا و أنشأ جريدة الأمة[16].

إلا أن الملاحظ على هذه الفترة، هو انتشار الفكر الإصلاحي و بروز شخصية ابن باديس و الإبراهيمي و العقبي و غيرهم من رجال الحركة الإصلاحية. و وقفوا سدا منيعا أمام محاولات الاندماج و الانسلاخ عن الإسلام و العروبة[17]، و حاربت الطرقية و البدع و الخرافات المنتشرة هنا و هناك.

و لأهمية هذه الجمعية في حياة الحركة الوطنية و تاريخنا الحديث و المعاصر، و لأهمية دورها الفعال، يقول شارل أندري جوليان" كان العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي من سباته"[18]. كل ذلك بفضل خطتها الهائلة و الهادفة في الوقت نفسه ،مع ما اعتمدته من وسائل؛ كالصحف و النوادي و المدارس و المعاهد و البعثات و الدروس و المحاضرات.

13- د/ زاهية قدور تاريخ العرب الحديث، ص 513. كذلك انظر، الثقافة ع 109، 20 يوليو أغسطس 1995 ، ص 173 د/ إبراهيم مياسي" جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف" .

14- انظر، محمد العيد تاورتة، نثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ص 437.

15- انظر، د/ سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية، ص 424 و ما بعدها.

16- المرجع السابق، ص 426.

17- انظر، د/ محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغييرعند محمد البشير الإبراهيمي، ص"ب".

18- شارل أندري جوليان أفريقيا الشمالية تسير، ص 133.

جاهدت جمعية العلماء في جبهات كثيرة و أثبتت جدارتها في الساحة الوطنية لما كانت تقوم به من جهود في الحفاظ على الشخصية الوطنية و الهوية العربية الإسلامية لهذا القطر[19] و خاصة عند مشاركتها في المؤتمر الإسلامي عام1936 [20]. يقول الأستاذ أحمد مريوش عن مشاركة جمعية العلماء في ذاك المؤتمر"... و الظاهر أن وجود العلماء في المؤتمر قد استدعته الضرورة الظرفية بل لعله كان لزاما عليهم أن يساهموا بالقدر الكافي في تحقيق التوازن داخل المؤتمر لأنهم يمثلون السواد الأعظم من الأمة و لذلك كان لا بد عليهم أن يتقدموا هم كذلك بمطالبهم التي تركزت أساسا في الحفاظ على الذاتية و الهوية الجزائرية.

و الباحث في استراتيجية جمعية العلماء يخلص إلى أن" العلماء قد وقفوا في صالح كيان جزائري ينفصل في النهاية عن فرنسا و دعوا إلى القومية العربية الإسلامية و عارضوا بشدة تجنيس و دمج الجزائري في فرنسا و كان شعارهم (الجزائر بلادنا و الإسلام ديننا و العربية لغتنا)"[21].

و الذي أميل إليه شخصيا هو أن الجمعية قد أدركت بحس خاص أن شيئا ما يدبر للجزائر في هذا المؤتمر، فدخلته حتى تكون على بينة مما يجري و لا تفوت عنها الفرصة، و تكون مشاركة هي الأخرى في صنع القرار الذي يمكن أن يتمخض عن هذا المؤتمر. يقول الشيخ محمد خير الدين رحمه الله مبررا مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي عام 1936م:" و في سنة 1936 هدد الجزائر خطر شديد في قوميتها-ببرنامج (فيوليت) القاضي بالإدماج التدريجي للشعب الجزائري المغربي * لبعض النخبة بالفرنسية فأضطر العلماء للمشاركة في المؤتمر الإسلامي الجزائري بفرض مبادئهم على المؤتمرين و هي المحافظة التامة على الشخصية الجزائرية و رفض كل مساس بها"[22].

---

[19]- انظر، بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى(1931-1945) ص 54.: وانظر كذلك ، البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ص 440.

[20]- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص 180.

[21]- وزارة الإعلام و الثقافة، كيف تحررت الجزائر ص 54.

[22]- محمد الطاهر فضلاء، أعلام الجزائر، الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى، ص 27.

و هذا ليس غريبا على الجمعية و إستراتجيتها في الحفاظ على الهوية الجزائرية ،و خاصة بعد أن تجذرت أفكارها في نفوس الجماهير، و اتسعت رقعة إصلاحها. يقول أحد المـؤرخين الغربيين عن مدى ما وصلت إليه مصداقية جمعية العلماء عند الشعب الجزائري:" و ما من شك في أن العلماء من مناخ المعارضة القوي من أعوام 1933 حتى حزيران 1936، قد وطـدوا نفوذهم ووجهوا الرأي العام الإسلامي لصالحهم"[23] ،و جاروا الأحداث بحنكة و دهـاء و لم يريدوا الاصطدام مع فرنسا حتى لا يقع لهم مثل الأحزاب ، كالحل و التوقيف مثلا." و لم يتخذ العلماء موقفا معاديا واضحا مراعاة للظروف،منتظرين أيام خيبة الأمل ليكشفوا عن مشاعرهم الحقيقية"[24] . و إلى جانب ما سبق، فقد عاد حزب " نجم شمال إفريقيا" إلى الظهـور باسـم "حزب الشعب الجزائري" في 11 مارس 1937م[25]، و انتشرت أفكاره في الأوساط العمالية. لكنه ما لبث أن حل نهائيا من طرف السلطات الاستعمارية في 29 ديسمبر 1939 ،و أوقفت جريدته" الأمة " الناطقة باسمة[26]. و سجن زعيمه مصالي الحاج[27].

و أما عن الحزب الشيوعي الجزائري[28]، ففي أول الأمر كان تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي . و قد كانت نشاطاته عمالية و أفكاره محدودة لانتشار بين الجماهير[29].

وبعد فشل جهود المؤتمر الإسلامي " عندئذ عاد فرحات عباس إلى الشعب فكون حزبه (حزب الاتحاد الشعبي) و انفصل ابن جلول و كون (التجمع الفرنسي الإسلامي) و خاب أمل ابن باديس في ديمقراطية فرنسا فرفض باسم جمعية العلماء الإعلان عن تأييد فرنسا في الحرب المقبلة أما مصالي، فقد قيد إلى السجن هو وعدد من رفقائه و هكذا فشلت حركة المؤتمر الإسلامي التي كانت تعبيرا أيضا عن فشل سياسة فرنسا في الجزائر"[30].

---

[23]- شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ص 142.

[24]- شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، ص 148:

[25]- انظر، د/ أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري ج1، ص 212 و ما بعدها.

[26]- انظر شارل أندريه جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، ص 144-145.

[27]- انظر، عبد الحميد زوزو، الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين ص 59.

[28]- انظر، شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير ص 155.

[29]- انظر، الأستاذ الطيب العلوي ، مجلة أول نوفمبر عدد 53 عام 81. جبهة التحرير و بيان أول نوفمبر" ص 28.

[30] - د/ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ج 3، ص 183.

و حين قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939، ألقي ببعض زعماء الحركة الوطنية في السجون، ثم أطلق سراحهم، آنذاك أسس فرحات عباس حركة البيان[31]، التي ركز فيها على بعض المطالب و الإصلاحات التي لبت منها فرنسا بعضا فيما عرف بإصلاحات قانون 7 مارس 1947 [32].

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أمل الشعب الجزائري في شيء من الحرية و هفا قلبه إلى الاستقلال مثل بقية الشعوب في المعمورة ، لكن رد الفعل كان أن جازته فرنسا جزاء استعمار. فوقعت مجازر 8 ماي 1945م التي ذهب صحيتها ما يزيد و يزيد على 80 ألف ضحية[33]بعد هذه الأحداث، أسس فرحات عباس" الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، كما أسس زعيم حزب الشعب بعد ذلك في عام 1946 حركة الانتصار للحريات الديمقراطية[34] التي أسست بدورها منظمة سرية شبه عسكرية [35] إلى جانب نشاطها السياسي[36].

و عن هذه السنوات يقول الدكتور سعد الله " إذا نظرنا إلى فترة 1946-1954 وجدنا الاتجاهين الثوري و المعتدل في تنافس شديد على كسب الجماهير"[37] كل يريدها إلى جانبه.

كما سلطت فرنسا جام غضبها على الشعب الجزائري حين بدأ يجنح إلى الفكر الثوري و العمل المسلح[38]، و عمدت إلى اصطناع و تدجين أتباعها و عرفت الفترة ضغطا و تزويرا في الانتخابات ليس له مثيل[39].

---

[31]- انظر، عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، مختصر تاريخ الجزائر ص 280.

[32]- انظر، فيليب رفلة، جمهورية الجزائر، إشراف د/ عز الدين فريد تقديم أحمد توفيق المدني، ص 152-156.

[33]- انظر، عامر رخيلة، 8 ماي 1945، ص 83. و كذلك الموافقات ع 4 س 4 ص 395..

[34]- انظر، وزارة الإعلام، كيف تحررت الجزائر،59

[35]- انظر، الجيلالي صاري، د/ محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954 ص 134.

[36]- كذلك، انظر فرحات عباس ،ليل الاستعمار ،ص 25.

[37]- د/ أبو القاسم سعد الله مجلة أول نوفمبر ع 53 عام 1981، " الاتجاهات الفكرية و الثقافية للحركة" ص 23.

[38]- انظر، عبد الرحمن تاريخ الجزائر العام ج 4 ص 372.

[39] – انظر، هنري كلود و آخرين، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ص 149 و كذلك شارل أندري جوليان أفريقيا الشمالية تسير ص 357-

في هذه الظروف القاسية و الأجواء المشحونة، و الأوضاع المتردية، جنح العمل الوطني إلى التكتم و الانطباع بالسرية ، بعد ذلك الاضطهاد الشرس الذي كان الاستعمار يسلطه على المواطنين يوميا[40] دون تمييز .

و قد عرفت الحركة الوطنية تصدعا في هذه السنوات من عقد الخمسينات، و قد حاول البعض جمع الشمل تحت تنظيم" الجبهة المشتركة للدفاع واحترام الحرية و بتاريخ 5 أوت 1951 لكنها لم تطل بها المدة و لم يمتد بها الزمن[41]. كما ازداد التصدع أتساعا فطال حزب حركة الانتصار[42] نزاع طويل. و برزت إلى الوجود" اللجنة الثورية للوحدة و العمل(CRUA) في شهر مارس 1954 ليلبي الحاجة إلى تنظيم هذه الحركة و ليجعل منها القوة المستقلة عن النزعتين و يحول دون تشتت الطاقات و انقسامها في المخاصمات الحزبية الناشئة بين القيادتين،لقد بات تكوين تنظيم ثوري بديل من الأمور الملحة و الحاجات الماسة"[43].

و قد تمكن هذا التنظيم " اللجنة الثورية للوحدة والعمل" أن يخطط و يعلن ثورة التحرير[44]. بتظافر الجهود و عمل "لجنة الاثنين و العشرين"[45] .

و بعد سبع سنوات من الكفاح و النضال أشرق صبح الحرية في الجزائر وولت فلول الإستعمار إلى معاقلها تجر ذيول الخيبة و الخزي. و عرفت الجزائر طعم الحرية و أشتنشقت نسيم الاستقلال، بعد أن قدمت على مذبح الشهادة و معبر الحرية مليون و نصف مليون من الشهداء الأبرار.

40- انظر، د/ جلال يحي، السياسة الفرنسية في الجزائر، ص 301 و ما بعدها.

41- انظر، د/ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19و 20 ص 294

42- انظر، فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 257- 258 كذلك أنظر د/ محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول ص80.

43- أحمد محساس الثقافة ع 86 السنة 15، " التحول النوعي للحركة الراديكالية الناجمة للجنة الثورية للوحدة و العمل " ص20.

44- انظر، د/ محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول ص 53-54 .

45- انظر، محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض ص 58 و ما بعدها.

ب ـ الوضع الاجتماعي و الاقتصادي:

كان المجتمع الجزائري يتكون من سكان أصليين و أجانب حضروا مع القوات الاستعمارية و كونوا جالية أوروبية و يهودية و قد تسلطت الجالية الأوروبية و اليهودية على دواليب الدولة و تحكموا في البلاد و العباد[46] و الاقتصاد[47].

و أما عن السكان الأصليين فقد كانوا يعيشون الضنك من الفقر و الجهل و الأمراض والتخلف المقيت[48]، كل ذلك بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية و الصحية و الاقتصادية[49]، التي عمل الاستعمار منذ دخوله الجزائر على توسيع رقعتها و تثبيت أسبابها، الأمر الذي ترتب عنه انحطاط كبير في جميع المجالات، خطط له الاستعمار و طبقه مرحلة بمرحلة بكل خبث و دهاء هو و أعوانه الذين اصطنعهم على عينه.

ترك المواطنون أراضيهم بسبب الضرائب الباهضة و الغرامات المتتالية فهاجر منهم البعض إلى فرنسا، و أما البعض الآخرفقصدوا المدن التي لم تجدهم هي الأخرى شيئا يذكر.

و ازدادت القبضة الاستعمارية على السكان في كل شيء ، فكثرت الأمراض الاجتماعية و تركزت الهجمة الشرسة على الإسلام و قيمة الحضارية، و عششت الخرافات و البدع و شاعت المحرمات، و كثرت الفواحش و المنكرات و الإجرام[50]. فالتفت الجماهير حول رجال الطرق الصوفية و المرابطين الذين بثوا في النفوس تواكلا و استسلاماً للقضاء و القدر[51] و التسليم بالواقع كحقيقة مطلقة لا مهرب منها و لا مناص.

كما تدخلت السلطات الاستعمارية في شؤون المسلمين جميعها، دينية و اقتصادية و غيرها. و حكمت سلطة الزوايا و الطرق في الحياة و النفوس[52].

---

[46] - انظر، د/ تركي رابح، تعليم القومي و الشخصية الجزائرية ، ص90

[47] - انظر، صالح عباد، المعمرون و السياسة الفرنسية في الجزائر ص 42 كذلك ، عبدالله شريط، محمد الميلي، مختصر تاريخ الجزائر، ص 75 .كذلك ، د/ عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 31-32.

[48] - انظر، فيليب رفلة، جمهورية الجزائر، ص 22-23.

[49] - انظر، شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ص 147.

[50] - انظر، بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية ص 71.

[51] - انظر المرجع السابق، ص 70.

[52] - انظر، عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 165.

و مع كل ذلك، فقد دبت الحياة و نهضت و لو نسبيا بفضل الحركة الإصلاحية، التي اهتمت بالتعليم و إنشاء النوادي و إلقاء المحاضرات و الدروس في المساجد، لتبصير الشعب بما آل إليه حاله، و ما عليه أن يفعله لضمان مستقبله[53] . فدب الأمل في النفوس و شعت الآمال و الأماني واشرأبت الأعناق إلى مستقبل أفضل، و كما قيل في المثل رب ضارة نافعة، فقد كانت تلك الظروف القاسية التي نشأت بسبب وجود الاستعمار الفرنسي البغيض قد خلقت و أوجدت وعيا وطنيا عجل بوجود حركة إصلاحية وطنية[54]. و قومية، و تقلص الفكر الصوفي و التفكير الطرقي، و تفطن الناس إلى واقعهم المزري فتاقت نفوسهم إلى ذاتيتهم المتفردة و شخصيتهم العربية الإسلامية الأصيلة الثابتة[55]. و بدأت الجماهير تتململ مطالبة بحقوقها مؤملة في استقلال عن فرنسا، و اتسعت نزعة التحرر و الدعوة إلى استقلال و اتسمت فترة الثلاثينات بعودة الروح الوطنية و اليقظة و المطالبة بمقومات الشخصية العربية الإسلامية[56].

فتوجس الاستعمار من هذه النهضة و هذه اليقظة خيفية فراح يشد الخناق على الجزائريين أحزابا و جمعيات اللهم إلا مَن كان يسير في ركابه من عملائه المصطنعين[57].

أدرك الجزائريون المخطط الرهيب الذي كان يخطط له الاستعمار و يطبقه في أرض الواقع، فالتفوا حول رجال الحركة الإصلاحية و الوطنية و تمسكوا بثوابت شخصيتهم و عناصر هويتهم، و تمسك الشعب أكثر من ذي قبل بانتمائه إلى الحضارة العربية الإسلامية، و استعصم بدينه و نبذ التجنيس و الاندماج إذ "الإسلام ليس مجرد دين أو مادة للعبادة فقط عند الناس، و إنما كان أيضا مصدرا للثقافة و النظم القانونية و العلاقات الاجتماعية و التقاليد الوطنية و كان هو أهم عنصر من مقومات الشخصية الجزائرية"[58].

---

[53]- انظر، أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر، ص 379.

[54]- انظر، فلاديمير ماكسيمنكو، الانتلجنسيا، المثقفون أفكار و نزعات ص 80.

[55]- انظر، سجل مؤتمر جمعية العلماء ، ص 41-42.

[56]- انظر، عبد الكريم بوصفصاف جمعية العلماء و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 350.

[57]- انظر، د/ عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي ص 38.

[58]- عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ ص 155. انظر، كذلك د/ عبد الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث ص 26-27.انظر، كذلك أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 350 و ما بعدها.

لقد أتبع الجزائريون في بداية القرن طريقة النضال السياسي، و لكن بعد أن خبروا الحكومات و عرفوا الاستعمار أكثر من ذي قبل و تبين ألا جدوى من ذلك النضال، جنحوا إلى العمل الثوري كل ذلك بفضل الحركة الإصلاحية و النهضة الوطنية المباركة التي هيأت الشعب للثورة المسلحة أخيرا.

حين أدركت فرنسا أن الحركة الوطنية تقود الأمة و تحضرها لشيء في الأفق القريب غدت تسلط جام غضبها و تعزز قواها العسكرية في سنوات الخمسينات بحجة تتبع الفارين من القانون غير أنه قد "صار الوضع مناسبا و الظروف ملائمة لإشعال نار الثورة التي سيكون لها الفضل في تقويض أركان الاستعمار الفرنسي"[59] و تخلصت الجزائر من براثن الاستعمار الذي ضرب بأطنابه سنين طويلة، معتقدا أن الجزائر أصبحت جزءا من فرنسا، لا يمكن له أن ينفصل عنها و نسي أن شواهد مادية و معنوية تدل على بطلان دعواه و خطل فكره و عقم تصوره.

يقول الشاعر أبو بكر مصطفى بن رحمون عن استقلال الجزائر عن فرنسا:

و من المناكر أن تسام حقوقه ... منكم بأشرف ملة و لسان

و تعد تربته الزكية قطعة ... مما حيال "الرون" أو "لاسان"[*]

و الله بالإيمان يفصل بيننا ... و الجنس و الأمواج و الحيتان[60].

ج ـ الوضع الثقافي:

عرف الوضع الثقافي في الجزائر تطورا ملحوظا منذ عودة الشيخ عبد الحميد ابن باديس من تونس و البشير الإبراهيمي من دمشق و الطيب العقبي من بلاد الحجاز. فعرفت الجزائر صحفا وطنية و مدارس تعليمية، تعتمد اللغة العربية و الثقافة الإسلامية و الوطنية[61].

و ظهرت المقالات المدبجة و القصائد المحررة في الصحف؛ المنتقد و الشهاب و الإصلاح و البرق و غيرها من الصحف الوطنية، و برزت أسماء في أفق الجزائر من أمثال، مبارك

59- د/ محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول ص 50.

(*) "الرون" و" الاسان" نهران عظيمان في فرنسا.

60- ابن رحمون الديوان، ص 144.

61- انظر، محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية ص 77.

الميلي وسعيد الزاهري و أبي اليقظان و مفدى زكريا و رمضان حمود و الفرقد و الهادي السنوسي و أضرابهم الكثير.

وكما ازدهرت الصحافة ازدهر ما تنشره من شعر و نثر، وازدهر التعليم و انتشرت اللغة العربية في الصحف و المحاضرات و دروس الوعظ و الإرشاد و خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء حيث"... غلبت اللغة العربية و بدأت تسيطر و تستعيد مكانتها نتيجة لحركة جمعية العلماء"[62] التي بذلت جهودا جبارة في إنشاء المدرس و المكاتب التعليمية[63].

كان ذلك عن التعليم عند جمعية العلماء،و أما في المدارس الفرنسية، فقد كان محصورا في فئة قليلة جدا من السكان الأصليين[64] و في جميع المستويات[65].

و كما ، انتشرت الصحافة بالعربية، فكذلك الأمر، إذ قام المثقفون باللغة الفرنسية هم أيضا بإنشاء الصحف الخاصة بهم تحمل رؤيتهم و فكرهم[66].

غير أن المدرسة الفرنسية كانت" تُعْنَى قبل كل شيء باللغة الفرنسية و تاريخ فرنسا و جغرافيتها و تراجم رجالها. أما ما يدرس لهم من التاريخ العربي فلا يعدو أن يكون صورة مزورة تهدف إلى تحقير الماضي و الحط من قيمة أبطال العرب و الإسلام"[67].

و التعليم في الزوايا كان هو الآخر له فضل كبير في الحفاظ على القرآن و العربية من الضياع و النسيان و التلاشي[68].و رغم بساطة ذلك التعليم و تقليدية مناهجه[69]، فقد عاد على الوطن بالخير الوفير.

---

[62]- أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا، ص 166

[63]- أنظر، محمد عمارة، مسلمون ثوار ص 247.

[64]- انظر، د/ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص76.

[65]- انظر، عبد الله الشريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ص 219.

[66]- انظر، مجلة أول نوفمبر، ع 53 عام 1981 ص 25.

[67]- أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا ص 131

[68]- انظر، محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ص 29 و ما بعدها.

[69]- انظر، د/ إسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر، ص 64-76-77-78.

و قد كان في الجزائر أيضا نوع آخر من التعليم منتشرا في ربوع القطر بأكمله، و هو في الحقيقة " لا يختلف عن تعليم "الزوايا" في مناهجه أو في طرقه و موارده ، و أغلبه ينحصر في تعليم القرآن وهو "التعليم الشعبي" الذي كان منتشرا بالمدن و القرى و البوادي"[70].

و قد اختلفت و جهات النظر في الحركة الوطنية بين ثورية[71] و اصلاحية[72]. فنهج العلماء نهجا إصلاحيا عمدوا فيه إلى إعداد جيل مثقف واع بما سيقوم به في مستقبله.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد اصطدمت الحركة الإصلاحية – ذات التوجه العربي الإسلامي– مع المثقفين ثقافة فرنسية كل ذلك لاختلاف الرؤية و المنهج لدى كل منهما[73]. و إن كان في المثقفين ثقافة فرنسية وطنيون أخلصوا للوطن لكن حسب الوسيلة التي اختاروها[74].

لقد آتت كل من الصحافة[75] و التعليم ثمارهما و برز ذلك في الشعر و النثر[76] و تكون جيل مثقف حمل فيما بعد لواء الثورة المسلحة يختلف كليا عن الجيل الذي سبقه – وعيا و ثقافة–[77] يقول الدكتور محمد زرمان عن الجيل الجديد" فقد انطلق هؤلاء في ميدان جديد يعبرون فيه عن آمالهم في إصلاح الواقع الفاسد، فحاربوا في قصائدهم الجهل و امتدحوا العلم و دعوا إلى الأخذ بأسباب المدنية المعاصرة، و نادوا بالإصلاح الاجتماعي و عبروا عن شعورهم الوطني و انتمائهم الحضاري و غني موضوعات لم يكن لها وجود فيما سبقها من أشعار"[78].

70– د/ عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري الحديث، ص3

71– انظر، محمد قداش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919-1939) ص 78.

72– انظر، عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، ص 149-150، كذلك انظر، محمد زرمان الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي ص 193.

73– انظر، د/ أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل الخليفة، ص 82.

– انظر، كذلك، د/ عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ص 19 و ما بعدها.

74– انظر، محمد سعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية و تبشير ص 27.

75– انظر، أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا ص 202.

76– انظر، محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 430.

77– انظر، محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ج1 ص 71-72.

78– محمد زرمان ، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص 350.

لقد صحب ذلك التطور الأدبي، و تلك النهضة الثقافية تطور اجتماعي فازداد الوعي بالواقع المزري، و حددت أسبابه. و ظهر في سلوك الناس و أفكارهم[79]. و ربطت الحركة الإصلاحية و الوطنية الجزائر بالمشرق و عمّقت انتماءه و شعوره القومي ببلاد المشرق العربي. و "الحركة المشرقية كانت تعاش في الجزائر لحظة لحظة على بعد الدار و شدة المراقبة الاستعمارية و اضطهاد الفرنسيين للمثقفين باللغة العربية و اضطهاد العدو "[80].

لعبت الحركة الإصلاحية و الوطنية دورا مهما و بارزا للعيان في إحياء التراث[81]، و بعث نهضة شعرية[82] و نثرية[83]، كان رجالها جنودا في خدمة القضية الوطنية و المحافظة على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية التي زعم الاستعمار أنه قد شيع جنازة أحد أركانها- الإسلام-[84] الذي ما انفك الاستعمار يحاربه منذ دخوله هذا الوطن الغالي على أبنائه العزيز لدى زعمائه الذين قبلوا في سبيل تحريره كل تضحية و فداء.

كان الأديب الجزائري في هذه الفترة يمثل "رأس الرمح و القوة الفاعلة المؤثرة، فكرس إبداعه لخدمة المجتمع و التعبير عن همومه و تطلعاته و حثّه على مقارعة الزمن و مواجهة الخطوب و محاربة الجهل و الجمود و القناعة الزائفة و تقية الجبناء، و من هنا كان إحساس الأديب الجزائري عميقا بالرسالة الملقاة على عاتقه، سواء كانت هذه الرسالة اجتماعية أو سياسية أو فنية أو إنسانية"[85].

و قد تطورت المقالة الصحفية[86] و القصصية[87] و بدأت محاولات القصة بالعربية[88] و حفلت الجرائد و الصحف ببعض المقالات النقدية " فالمرحلة حافلة بالأحداث،ومن ثمّ بالأفكار

---

[79]- انظر ،محمد الطاهر فضلاء (الطيب العقبي للمصلح الثائر مجلة الثقافة ع 66 ص 45.

[80]- الدكتور عبد المالك مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب و المشرق ص 118

[81]- انظر، د/ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ص 126-127.

[82]- انظر، الوناس شعباني تطور الشعر الجزائري الحديث ص 06.

[83]- انظر، د/ أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة ص 106.

[84]- انظر، الثقافة ع 87، ص 27.

[85]- عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، ص 102.

[86]- انظر، د/ محمد ناصر ، المقالة الصحفية ج 2، ص 111.

[87]- انظر، د/ عبد الله خليفة ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة ص 55 و ما بعدها.

الجديدة التي كان لها تأثير في الأدب. فصرنا نجد الحركة الأدبية تتنفس شيئا فشيئا حتى استقلت على أقدامها و هي أقوى ما تكون في آخر النصف الأول من القرن العشرين الميلادي"[89].

كان الأدب– شعرا و نثرا– حاضرا في المعركة الحضارية التي كانت تدور رحاها بين الجزائريين و قوى الاستعمار وخاصة بعد أحداث 8 ماي 1945. يقول أحد الدارسين " كانت مجازر الثامن ماي 1945 سببا قويا و مباشرا في تنوير الحياة السياسية و إغلاق الطريق أمام أي تفكير مهادن للاستعمار و اقتنع الوطنيون المخلصون جميعا بحتمية الإعداد النفسي و المادي للكفاح المسلح. و قد عبّر بعض الأدباء هنا كذلك عن حضورهم و ساهموا في إذكاء الحمية الوطنية في النفوس،متحملين بذلك أعباء الرسالة السياسية"[90] ، مثلهم مثل رجال السياسة في الحركة الوطنية فترة طويلة[91]، سبقت الثورة المسلحة ـــ التي شارك فيها الكثير من رجال الإصلاح و ماتوا شهداء في معركة التحرير[92] ـــ تأثرا بالأحداث وما يطرأ فيها من تقلبات ،و هو قبل غيره أشد تقبلا للانطباعات الجديدة التي تظهر في معالم السياسة و المجتمع و الفكر و عصور الثورات و الانفعالات أشد تأثيرا في حياة الشعر عصور الدعة و الركود"[93].

و كما عبر الشعر عن الثورة المسلحة[94] و العهود التي سبقتها، فهو لم يعرف دعة ولا راحة و اطمئنانا[95]. و لا غرابة في ذلك، فمن المعروف "أن كل حركة تغييرية تسعى إلى تكوين طليعة قيادية تؤمن بفكرها، و تتولى حملها، و تعمل على نشرها في الأوساط الشعبية و تضمن لها القدر الكافي من الاستمرارية و التواصل"[96] ولو اقتضى الأمر التضحية بالنفس و النفيس، إذ

[88]- انظر، د/ عائدة أديب بامية تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 301 و ما بعدها.

[89]- محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري، ص 360.

[90]- عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، ص 146.

[91]- انظر، د/ صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الحديث ص 31.

[92]- انظر، محمد عباس. البشير الإبراهيمي أديبا ، ص 28-29.

[93]- د/ حامد حفني داود، تاريخ الأدب تطوره، معالمه الكبرى، مدارسه ص 30.

[94]- انظر، الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري، ص 79 و ما بعدها.

[95]- انظر: محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا، ص 21.

[96]- محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي ص،270.

عزة الأوطان و استقلالها و ضمان كرامتها يتطلب قرابين عدة تقدم على مذبح الحرية، كما قال أحمد شوقي:

و للحريـــة الحمـــراء باب بكلّ يـــد مُضرّجة يُدَقُّ.

الفصل الأول

التعريف بالطبيب العقبي

أ ــ حيـــاتـــه.

ب ــ ثقـــافتـــه.

ج ــ أســـاتذتـــه.

د ــ انخراطه في العمل السياسي.

هـ ــ اعتنـــاقه الفكـــر الإصلاحي.

أ ــ حيــاتــه:

هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن صالح من فرقة أولاد عبد الرحمان ووالدته من قرية(ليانة) بالزاب الشرقي، ترجع أصولها إلى عائلة آلخليفة[1]. و قد صرح الطيب العقبي نفسه بأن أصول العائلة تعود إلى أسرة شريفة و إن لم يجزم بذلك لتعففه عن الافتخار بالألقاب و الأنساب[2].

وُلد الشيخ العقبي ببلدة سيدي عقبة في شهر شوال سنة 1307هـ، و هذه السنة توافق 1889م. غير أن عددا ممن كتب عن العقبي، اختلفوا في تحديد السنة الميلادية تحديدا دقيقا.و بالرجوع إلى سجلات البلدية يقول الأستاذ الجمعي حشاشنة "... حيث ولد الطيب العقبي سنة 1887 و هو التاريخ المثبت في سجلات البلدية بدل 1890 كما تورده العديد من الدراسات"[3].

و سبب هذه الاختلافات في تحديد سنة ميلاده يرجع إلى أن تسجيل المواليد في السجلات الرسمية الخاصة بالحالة المدنية، لم تعرفه منطقة بسكرة إلا في حدود سنة 1932م .إذ كان السكان يعتمدون على الذاكرة أو تقييد و تسجيل مواليدهم في أوراق شخصية، الأمر الذي جعل معرفة سنوات الميلاد بالتحديد أمرا تقريبيا فقط.

سافرت أسرة الطيب العقبي إلى بلاد الحجاز لأسباب كثيرة، معظمها يرجع إلى بطش الاستعماري[4] و قهر الحكام المحليين، و كان ذلك في حدود سنة 1895 [5].

مكثت أسرة العقبي في مكة المكرمة قرابة السنة بعد أن أدوا فريضة الحج ثم انتقلت إلى المدينة المنورة التي كانت محط كثير من سكان مدينة بسكرة و سيدي عقبة. المهاجرين و قد كان " عمر الطيب ست سنين و شهرين ونصف فأدخله والده كتابا في المدينة المنورة فحفظ القرآن فيه كله على معلمين مصريين برواية حفص و كان حفظه متقنا راسخا جعل القرآن

---

1 انظر، الهادي السنوسي، شعراء الجزائر ج 1، ص 125.

2- انظر، م س، ص نفسها.

3- الجمعي احشاشنة، جريدة الأوراس ع 179 من 31 ماي إلى 6 جوان 1993.

4- انظر، اندري برنيان، الجزائر بين الماضي و الحاضر، ص 413.

5- انظر، أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية ص 5 و ما بعدها.

عدته الميسورة الحاضرة في كل مواقفه، و درس فن التجويد فأتقنه فصار من المجودين المرموقين"[6].

ب ـــ ثقـــافـــتـــه:

و في سنة 1320هـ[7] الموافق 1902، توفي والد الشيخ الطيب العقبي و قد بلغ العقبي سن الثالثة عشرة من عمره فكفلته والدته ورعته و ربّته أحسن تربية و قد كانت امرأة صالحة متدينة من بيئة محافظة[8].

و على العادة بعد أن حفظ العقبي القرآن، و أجاد تجويده دخل إلى المسجد النبوي الشريف طلبا للعلم، فنهل من المعارف المتاحة و العلوم المقدمة للطلاب و التلاميذ. فتقدم في طلب العلم، و برز في التحصيل بالقدر الذي ساعدت به الظروف و سمح به العصر[9]؛فكانت ثقافته محافظة تقليدية تعتمد العلوم الشرعية و التراث الأدبي العربي، شعرا و نثرا.

كان العقبي منذ صغره ذكيا، حافظا وصاحب فكر متقّد، طموحا عصاميا لا يرضى بالقليل المتاح، بل يجتهد في الطلب ويطلب المزيد، حتى "برع في علوم اللغة و الشريعة و استطاع بذكائه الوقاد و بجده و إعطاء نفسه للعلم و باعتماده على نفسه في التحصيل و بحسن نية والديه أن ينبغ سريعا في العلم فسطع نجمه في المدينة فجلس للتدريس في الحرم النبوي، فعلم العلوم الشرعية و اللغوية فأفاد فائدة كبرى"[10].

و الحقيقة، إنه لو لم يكن الطيب العقبي صاحب شخصية متميزة متفردة منذ نعومة أظافره، لما استطاع أن يتقدم للتدريس في المسجد النبوي الشريف، الذي كان محطّ أنظار علماء أجلاء ومنتهى أسفارهم وغاية رحلاتهم. كما شرع في تعاطي الكتابة في الصحف والجرائد. يقول الأستاذ محمد الصالح الصديق "درس مختلف مراحل التعليم و صار مضرب المثل في العلوم

---

6 – محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ج2، ص 106.

7 – انظر، السنوسي، شعراء الجزائر، ج1، ص 127.

8 – انظر، م س، ص نفسها.

9 – انظر، عبد الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز، ص 65.

10 – محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ج2، ص107.

النقلية و العقلية، و كان يمد مختلف الصحف السياسية هناك بعطاء وافر قيّم يلفت الأنظار إلى مقدرته العلمية و الأدبية و السياسية"[11].

- لم يقتصر العقبي على ما حصله في المسجد النبوي الشريف، من علوم و معارف، بل غدا ينهل من كل جهة و يغرف من كل مكان، فولج إلى المكتبات الخاصة و العامة التي كانت منتشرة في ربوع المدينة المنورة[12].و هذه شهادة منه على نفسه:" بعد أن أصبحت أنا القائم بشؤوني و المتولي أمر عائلتي و نفسي، أخذت إذ ذاك من العلم بقسط شعرت منه بواجباتي الدينية والدنيوية، وما كدت أدرك معنى الحياة وأتناول الكتابة في الصحف السيارة وأنظم الشعر، و أتمكن من فهم الأدب الذي كان سمير طبعي و ضمير جمعي حتى فاجأتنا حوادث الدهر و نوائب الحدثان، و جلها كان على إثر و بسبب الحرب العالمية التي شتت الشمل و فرقت الجمع فسحقا لها سحقا و بعدا لما أبقته من آثارها السيئة"[13].

الذي نخلص به من هذه الشهادة، هو أن الطيب العقبي بعد أن أنهى شطرا من التحصيل العلمي في المسجد النبوي الشريف الذي كان منقطعا له كلية، وبعد أن ارتاد المكتبات الخاصة و العامة، وعرف من الناس والمحيط الذي حوله الدنيا و ما تمر به من أحداث و مشاكل هنا و هناك و قرأ في الصحف السيارة ما لم يقرأه في الكتب و المجلدات، بدأ يدرك أن العالم من حوله، على غير ما كان يتصور ويعتقد.

أدرك العقبي أن الدنيا و العالم غير ما كان يعرفه في شوارع المدينة المنورة و حاراتها، و أزقتها و أن الثقافة التي حصلها هناك قطرة من بحر لجيّ، و سطر من كتاب مفتوح. فازداد اجتهادا في التثقف و المعرفة. فجرّب حظه في كتابة الشعر و المقالة، و غشي المجالس و المنتديات

---

[11]- محمد الصالح الصديق، شخصيات و مواقف، ص 315..

[12]- انظر، عبد الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز ص 93.و انظر كذلك، محمد البشير الإبراهيمي، (أنا) الثقافة ع 87، ص 16-17.

[13]- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر ج1، ص127.

وجرّب الخطابة "فتمرس بها حتى قيّد شاردها و ذلل جماحها فأصبح خطيبا مفوها ملك مقاليد القول وجعل من الكلمة سلاحا خطيرا يؤثر به في الجماهير ويهيمن على العواطف"[14].

عرف العقبي الدنيا من حوله و بدأ يتعرف على مشاكل المجتمع، و خبر السياسة والحياة العامة و سمع بما كانت تضطرب به الجزيرة العربية التي كانت منقسمة على نفسها، ومقسمة إلى ثلاث دويلات[15]، و خبر السياسة و شاهد المآسي التي كان يقوم بها الجنود الأتراك و حكامهم في المدينة المنورة و في غيرها من مدن الحجاز. عند ذلك كله تبين للعقبي أن الحياة غير ما ألفه في أروقة المسجد و الوقائع و الأحداث غير ما كان يردد في حلقات الدرس.بل العالم و الحياة أوسع من ذلك كثيرا.

ج ــ أســاتذتــه:

درس الشيخ الطيب العقبي بالمدينة المنورة في بلاد الحجاز، و هي مدينة كانت مقصد العلماء و محط رحالهم من جميع أقطار العالم العربي و الإسلامي الكبير. و هي مَعْلَم من معالم الثقافة العربية الإسلامية المحافظة[16].

و بالرغم مما كانت تعجّ به المدينة المنورة من علماء أجلاء في تلك الحقبة ــ بداية القرن العشرين ــ إلا أن الطيب العقبي لم يذكر لنا في ترجمته إلا ثلاثة منهم، و هم الأكثر تأثيرا في نفسيته و أدبه و علمه.فـ" من أساتذة الشيخ الطيب العقبي في العلم الشيخ عبد الله زيدان الشنقيطي* و الشيخ الحبيب التونسي** و الشيخ حمدان الأونيسي و غيرهم"[17].

14- أحمد شقار الثعالبي،(الشيخ الطيب العقبي و سر التأثير في الجماهير)، الشروق الثقافي العدد 26، من 20إلى 27 جانفي 1994، ص 8.

15- انظر، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 741.

16- انظر، عبد الرحيم أبو بكر ،الشعر الحديث في الحجاز، ص 72.

*- قال عنه الإبراهيمي " و أخذت أنساب العرب و أدبهم الجاهلي و السيرة النبوية عن الشيخ محمد عبـد الله زيـدان الشنقيطي و هو أعجوبة الزمان في حفظ اللغة العربية و أنساب العرب و حوادث السـيرة"، الموافقـات ع4 جـوان 1995، ص384.

**- لم نعثر له على ترجمة فيما لدينا من مراجع.

17- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة ج2، ص 107.

وجرّب الخطابة "فتمرس بها حتى قيّد شاردها و ذلل جماحها فأصبح خطيبا مفوها ملك مقاليد القول وجعل من الكلمة سلاحا خطيرا يؤثر به في الجماهير ويهيمن على العواطف"[14].

عرف العقبي الدنيا من حوله و بدأ يتعرف على مشاكل المجتمع، و خبر السياسة والحياة العامة و سمع بما كانت تضطرب به الجزيرة العربية التي كانت منقسمة على نفسها، ومقسمة إلى ثلاث دويلات[15]، و خبر السياسة و شاهد المآسي التي كان يقوم بها الجنود الأتراك و حكامهم في المدينة المنورة و في غيرها من مدن الحجاز. عند ذلك كله تبين للعقبي أن الحياة غير ما ألفه في أروقة المسجد و الوقائع و الأحداث غير ما كان يردد في حلقات الدرس.بل العالم و الحياة أوسع من ذلك كثيرا.

ج ـــ أســـاتذتـــه:

درس الشيخ الطيب العقبي بالمدينة المنورة في بلاد الحجاز، و هي مدينة كانت مقصد العلماء و محط رحالهم من جميع أقطار العالم العربي و الإسلامي الكبير. و هي مَعْلَم من معالم الثقافة العربية الإسلامية المحافظة[16].

و بالرغم مما كانت تعجّ به المدينة المنورة من علماء أجلاء في تلك الحقبة ـــ بداية القرن العشرين ـــ إلا أن الطيب العقبي لم يذكر لنا في ترجمته إلا ثلاثة منهم، و هم الأكثر تأثيرا في نفسيته و أدبه و علمه.فـــ" من أساتذة الشيخ الطيب العقبي في العلم الشيخ عبد الله زيدان الشنقيطي* و الشيخ الحبيب التونسي** و الشيخ حمدان الأونيسي و غيرهم"[17].

---

[14]- أحمد شقار الثعالبي،(الشيخ الطيب العقبي و سر التأثير في الجماهير)، الشروق الثقافي العدد 26، من 20إلى 27 جانفي 1994، ص 8.

[15]- انظر، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 741.

[16]- انظر، عبد الرحيم أبو بكر ،الشعر الحديث في الحجاز، ص 72.

*- قال عنه الإبراهيمي " و أخذت أنساب العرب و أدبهم الجاهلي و السيرة النبوية عن الشيخ محمد عبـــد الله زيـــدان الشنقيطي و هو أعجوبة الزمان في حفظ اللغة العربية و أنساب العرب و حوادث الســـيرة"، الموافقـــات ع4 جـــوان 1995، ص384.

**- لم نعثر له على ترجمة فيما لدينا من مراجع.

[17]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة ج2، ص 107.

كانت شخصية العقبي عصامية إلى أبعد الحدود، ومع كل الظروف القاسية التي أحاطت به خلال مراحل حياته، "فكان نجاحه في العلم والأدب إذن عائدا بالدرجة الأولى إلى مواهبه الذاتية وعصامية الشخصية، وهو الأمر الذي صاحبه دوما في كل مراحل حياته، وقد عرف العلماء له هذه الميزة، فأعطوه من أجلها ما يستحقه من التجلة و الاحترام و التقدير و الإعجاب"[23]. فكان بينهم مبجلا، مقدما محترما مشهودا له بالفضل و السبق و التبجيل.

د ــ انخراطه في العمل السياسي:

إن المتمعن في حياة العقبي ببلاد الحجاز، يلحظ أن الرجل كان ميالا إلى الحركة القومية العربية، الداعية إلى قيام دولة عربية بقيادة الشريف الحسين بن علي. وقد بذل العقبي نفسه نشاطا ملحوظا لصالح هذه الفكرة[24]، وناصر أصحابها وتقرّب منهم و أيدهم في ثورتهم على الدولة العثمانية في عام 1916. و قد قال عن نفسه في هذا الموضوع بالذات:" تناولت الكتابة في الصحف الشرقية قبل الحرب العمومية أمدا غير طويل، فعدّني بعض رجال تركيا الفتاة من جملة السياسيين و أخرجوني في جملة أنصار النهضة العربية مبعدا من المدينة المنورة على إثر قيام (الشريف حسين بن علي) في وجوههم بعد الحرب إلى المنفى في أرضهم(الروم إيلي) أولا، (فالأناضول) ثانيا، و هناك بقيت أكثر من سنتين مبعدا في جملة الرفاق عن أرض الحجاز و كل بلاد العرب"[25].

لا غرابة أن يسجن العقبي أو ينفى، إذ عُلم لدى السلطات العثمانية أنه "كان عضوا في أحرار المدينة و كان من دعاة القومية العربية"[26].

و الحقيقة أن العقبي كما يتبادر إلينا، كان رافضا للخط العام للسياسة التي انتهجها أصحاب "تركيا الفتاة"، بذلك نجده قد "كتب المقالات القوية الثائرة على الفساد وأسباب الهرم الذي قيّد الأمة الإسلامية لأعدائها فنشرها في الصحف الشرقية، فلفتت إليه أنظار قادة النهضة

23- محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائدا لحركة الإصلاح الديني في الجزائر ص 45.

24- انظر، أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص 21 و ما بعدها.

25- الهادي السنوسي، شعراء الجزائر ج1، ص 128.

26- سعد الله محمد العيد آل خليفة ص 38.

العربية، فكان شكيب أرسلان و الشيخ محب الدين بن الخطيب و الشيخ المكي بن عزوز و غيرهم من قادة النهضة من أصدقائه يعدونه من أعضائهم"[27].

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عاد العقبي من المنفى بعد قضاء قرابة الستتين، و قصد هذه المرة مكة المكرمة عاصمة الدولة العربية، التي كان يرأسها الشريف "حسين بن علي". فعيّن في منصب مدير لجريدة "القبلة" و المطبعة الأميرية، اعترافاته بالجميل و الولاء و تقديرا لجهوده في خدمة و صالح قيام الدولة العربية[28].

و الراجح أنه لولا الثقة والولاء الخالص للدولة العربية وللأسرة الشريفة المؤسسة لها، واعترافا لمكانة العقبي ومقدرته، ما كان أن تسند له مثل تلك المهمات الخطيرة للدولة الفتية، الناشئة في محيط دولي ملغم، ومشحون بالمؤامرات و المخططات السرية و العلنية لإعادة تشكيل العالم العربي والإسلامي. لكن المقام لم يطل بالرجل في هذه المهمات حيث قفل راجعا إلى الجزائر في 3مارس 1920م.

هـ ـــ اعتناقه الفكر الإصلاحي:

عاش الطيب العقبي في بلاد الحجاز في الفترة التي انتشر فيها تيار الفكر الوهّابي، وليس من المستبعد أن يتأثر به لأن الرجل بطبيعته وبفضل ثقافته المحافظة كان ميالا إلى التدين الصحيح، عزوفا عن مظاهر الفساد و الخرافات التي لحقت العقائد و الأفكار. يقول عنه أحد الباحثين، و في هذا الشأن بالذات " لقد تربى العقبي في بيئة انتشرت فيها الحركة الوهابية، فأخذ في ما يبدو عن مبادئها وأفكارها و اتضح ذلك جليا في سلوكه الإصلاحي المتطرف و لباسه الخاص حتى أسماه البعض بالوهابي و أطلقوا تسمية الوهابية على جمعية العلماء المسلمين"[29].

و العقبي نفسه لم يكن ينكر و لا يرفض تسميته "بالوهابي" لأنه كان يرى ذلك مفخرة مادامت الحركة الوهابية "تمثل الفكر الإسلامي النقي المطابق للأصول"[30].

---

[27]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ج2، ص108.

[28]- انظر، السنوسي، شعراء الجزائر ج1، ص128 و ما بعدها.

[29]- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص15.

[30]- le reformisme musulman en Algrie 1925 à 1940 p ALI MERADE, .94

للمزيد عن الفكر الوهابي ، أنظر أحمد بن حجر ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه ص 10 و مابعدها

و قد تجلى ميله إلى الفكر الإصلاحي، في مواقفه الحادة ضد الطرقية و كلّ كان يُنشر و يذاع من خرافات و بدع، لا تتناسب مع صحيح العقيدة و صريح الشريعة[31].

و كما تأثر العقبي بالحركة الوهابية ـــ فيما يبدو ـــ فقد تأثر أيضا بالأفكار الإصلاحية التجديدية التي كانت زيادة على دعوتها إلى الرجوع والعودة إلى الأصول، تدعو إلى الأخذ بكل ما يمكن أن يفيد الأمة الإسلامية و يصلح من شأنها، في مناح مختلفة من متطلبات الحياة المعاصرة[32].

و كما تأثّر العقبي بالحركات الإصلاحية ذات النزعة التجديدية، تأثر أيضا بتيّار الجامعة الإسلامية و تعرف على كثير من رجالاته.وتيار الجامعة الإسلامية كما هو معروف زيادة على اهتمام أعضائه بالجانب السياسي في حياة الأمة الإسلامية "ثبت لهم أيضا أنه للوصول إلى أهدافهم تلك لابدّ من اتخاذ الوسائل اللازمة لنهضة صحيحة تقوم على العلم و على التربية السليمة والتجديد في مختلف مناحي الحياة و كان منطلقهم الأول أن الإسلام صالح لنهضة المسلمين المطلوبة"[33].

و الحقيقة ،إن الطيب العقبي قد عرف تيارات كثيرة حين كان مقيما في بلاد الحجاز و منفيا في بلاد الترك ، وتعرّف على شخصيات عديدة من رجال الحركة الإصلاحية التي كانت تعمل جاهدة لبعث الروح في الأمة الإسلامية ،و العمل على إعادة الوعي الإسلامي لشعوب بلدان المشرق العربي.

وخلاصة الفلسفة الإصلاحية التي تشرّبها العقبي و عاد بها إلى بلاده ـــ الجزائر– ـــ ممثلة في أن الإصلاح "يعني القضاء على أسباب الانحطاط، و يقول بوجوب العودة إلى النبع الصافي الأول،... و لا سبيل إلى ذلك كله إلا بأعمال العقل المجتهد، إلا بإعادة فتح باب

---

[31]- انظر، كمال عجالي، الشيخ الطيب العقبي أديبا، رسالة دكتوراه، (مخطوط) ص 372 و ما بعدها.
و انظر كذلك، أحمد بن السايح "الطيب العقبي المصلح الثائر" العقيدة العدد 97 بتاريخ 7 جوليت 1992.

[32]- انظر، د/ محمد الصالح المراكشي، تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص88.

[33]- د/ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، ص 109.انظر كذلك ، د/ محمد عمارة مسلمون ثوار، ص 158-164.و للمزيد انظر ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ، ص 131 و ما بعدها.
و كذلك انظر، د/محمد عمارة الجامعة الإسلامية و الفكرة القومية عند مصطفى كامل ص 47-48.

الاجتهاد ثانية بعدما أغلقته الخرافة والفساد والجهل قرونا عديدة متصلة ثم هو يأخذ من داعية الجامعة الإسلامية، بعضا من دواعيه في وجوب الإسهام في تحقيق يقظة العالم الإسلامي و العمل على تحقيق الرابطة القومية بين المنتسبين إليه. مثلما يأخذ بالمقابل بالعديد من الحجج و الآراء التي يأخذ بها الفكر العروبي"[34].

[34]- سعيد بن سعيد، الايديولوجيا و الحداثة، قراءة في الفكر العربي المعاصر ص 17.

الفصل الثاني

الإصلاح مفهوم و تاريخ

أ ـ تعريف لفظة الإصلاح.
ب ـ بين الإصلاح والتجديد.
ج ـ تـاريـخ الإصلاح.

أ ــ تعريف لفظة الإصلاح:

تعني لفظة الإصلاح:

" **الإصلاح**: نقيض الإفساد"[1]، و " أصلح الشيء ضد أفسده"[2] و قد جاء في تفسير ابن باديس قوله: " (و الإصلاح) هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزاء ما طرأ عليه من فساد.و الإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه.فإصلاح البدن بمعالجته بالحمية و الدواء، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة، و إفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر، و إفساد النفس بمقاربة المعاصي و الذنوب، وهكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد، في كثير من الأحوال. غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم، لأن خطرها أكبر و أعظم"[3]. و قد جاء في معجم الفلسفة تعريف الإصلاح : "هو إزالة الفساد في المجال الأخلاقي و الاجتماعي.

- و الإصلاح الديني هو إزالة البدع من العقيدة و الشريعة.

- وإصلاح أمر من الأمور هو تحسينه تدريجيا للحصول على نتائج أفضل. مثل الإصلاح الاجتماعي و السياسي و تقابله الثورة"[4].

و الذي نخلص إليه من التعريف السابق نقطة جوهرية ومهمة إلى حد كبير في بحثنا هذا و التي تنحصر في ملاحظتين اثنتين الأولى:

* هي أن الإصلاح يهدف إلى تحسين الشيء و الانتقال به من حالة هو عليها إلى حالة أفضل ولكن بطريقة تدريجية تعتمد المرحلية في العلاج للوصول إلى الحالة المثلى للشيء أو الأمر.

* و الثانية هو أن الإصلاح غير الثورة وإن كان هناك خلط كبير في مفهوم كل منهما و من هنا نجد أن أبا الأعلى المودودي يذهب إلى أن لفظتي " الإصلاح والثورة يقصد من وراءها جميعا إصلاح حالة فاسدة. ولكنه يكون هناك فرق جوهر بين محركاهما و مناهج عملهما. فالإصلاح

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب مج2، باب الحاء، فصل الصاد، ص 517.

[2]- منجد الطلاب، نظر فيه ووقف على طبعه فؤاد أفرام البستاني، ص 410.

[3]- عبد الحميد ابن باديس تفسير ابن باديس، ص 95-96.

[4]- محمود اليعقوبي معجم الفلسفة ، ص 117. وانظر كذلك، الدكتور محمد عمارة ، معركة المصطلحات بين الغرب والاسلام ص 134 وما بعدها.

يكون ابتداؤه من التّروي و التفكير. وذلك أن المرء يدرس الأوضاع القائمة بقلب هادئ و برويّة وإمعان نظر، ويفكر في أسباب الفساد و يقيس حدوده ويبحث عن تدابير إزالته. و إذا تصدى لمحوه فلا يستخدم قوة الهدم و التخريب إلا إلى الحد الذي لا بد منه"5.

و أما الثورة التي عناها المودودي فهي أقرب إلى الاندفاع والانتفاضة والانفعال والعمل الطائش، وغير الهادف، حيث قال: " و أما الثورة بخلاف ذلك، فيكون ابتداؤها من السخط والغضب واضطرام الحقد و الإلحاح على النقمة فيؤتي بفساد آخر في رد فساد أول، ويقاوم التطرف الذي أودى إلى ذلك الفساد بتطرف آخر يأتي فيقضي على الحسنات أيضا مع السيئات"6 إذ معنى الثورة عموما هي: "علم تغيير المجتمع تغييرا جذريا و شاملا أو الانتقال من مرحلة تطورية معينة إلى أخرى أكثر تقدما مما يتيح للقوى الاجتماعية المتقدمة في هذا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاليد الأمور فتصوغ الأكثر ملاءمة و تمكنها لسعادة و رفاهية الإنسان"7.

و عليه، فمفهوم الإصلاح غير مفهوم الثورة وإن تداخلت و ساللهما في بعض الأحيان، ومن ثم جاءت ملاحظة الإمام المودودي في هذا الصدد فقال:" ولا شك في أنه يضطر المصلح في كثير من الأحيان أن يصنع مثل ما صنعه الثوري. فكلاهما يأخذ مبضع الشريح و يعمد به إلى الموضع المريض من الجسم. و لكن الفرق بين الاثنين هو أن المصلح يقدّر من ذي قبل أين الفساد في الجسم وكَمْ هو؟ فيستعمل مبضعه بقدر لا بد منه لإزالة الفساد، و يهيئ بجانب عمل شرحه بلسما شافيا لكي يضعه على الجرح من الفور"8 مستهدفا سياسة الخطوة خطوة بخلاف رجل الثورة الذي يعمد إلى العمل دون خوف أو تردد و من ثم فـ" الثورة بخلاف ذلك يُعمل مبضعه في الجسم في فورة الغضب بدون حيطة أو حذر، و يروح يقطع أجزاءه بدون تمييز بين الصالح والفاسد ولا يخطر بباله أن يستعمل البلسم،وإن خطر فبعد أن يكون أثخن في القطع والبتر ويتنبه لخطئه في العمل عقب ما يضيع جزءا كبيرا من الجسم"9.

5- أبو الأعلى المودودي، نحن و الحضارة الغربية، ص203.

6- م، س، ص نفسها.

7- محمد عمارة، مسلمون ثوار ص 9. وانظر كذلك ، د محمد عمارة ، معركة المصطلحات ، ص 138 وما بعدها.

8- أبو الأعلى المودودي، نحن و الحضارة الغربية، ص 203-204.

9- م، س، ص 204.

و ربما هذا الذي يمكن أن نفسر به كثرة الأخطاء والأغلاط التي يمكن أن تقع في الثورات فتصيب الأبرياء عن حسن نية و من غير قصد متعمد إلى الإفساد ،هذا في تصورنا على الأقل.

و مفهوم الإصلاح الذي نقصد إليه هو ما جاء في تعريف الدكتور محمد البهي الذي قال " نعني بالإصلاح الديني في مجال الإسلام: محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، و رفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين.ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها حياة المسلمين إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره عندما يصبح في غده"10 .

و الذي أخلص إليه شخصيا في معنى الإصلاح، هو محاولة تنزيل الدين الإسلامي و أحكامه على عقائد المسلمين وسلوكهم و أوضاعهم المختلفة الجوانب و حلّ مشاكلهم بما قرره الإسلام من الأحكام والقواعد مع مراعاة متطلبات العصر ومقتضى ما تستجد به حياة الناس من قضايا ونوازل، تخص حياتهم اليومية وتفرضه حاجاتهم الملحة، فلا تبقى عالقة دون حل شرعي ولا حكم ديني، وإنما تجد حلها وجوابا لها فيما جاء به الدين الإسلامي من عقائد وقواعد أصولية وفقهية تتماشى مع تطور الحياة و نماء المجتمعات. و من هذا المنظور يمكن لنا" إذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي فإننا نجده حافلا بالجهود و المحاولات في ميدان الإصلاح و التجديد و لعل أبرزها تلك التي قام بها الغزالي و ابن تيمية و السيد جمال الدين الأفغاني و الشيخ محمد عبده و عبد الحميد ابن باديس و إن دل هذا على شيء فإنما يدل على صدق الحديث النبوي الشريف القائل:" من أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة* سنة من يجدد لها دينها"11 .

و فهْمُنا لمعنى الإصلاح و المقصود منه في بحثنا هذا، لا يبعد كثيرا عمّا ذهب إليه الأستاذ محمد طهاري الذي يرى مفهوم الإصلاح بقوله:" أما الإصلاح بالمعنى المقصود في بحثنا

10- د/ محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار ص 421.

*- ينقصه لفظة (مئة) من النص، أظنها سقطت سهوا.

11- طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ص 08.

للمزيد ، انظر ، أبو الأعلى المودودي ، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ص 13 وما بعدها

فينظر أنه يدل على يقظة ووعي الشرق بالنسبة لأغلبية زعماء الإصلاح لأنهم كانوا يشعرون بآلام شعوبهم و يدركون الأخطار المحيطة بهم ويفكرون بعمق في أسباب الداء و وصف الدواء"[12].

ب ـــ بين الإصلاح و التجديـــد:

التجديد ، و الكثير من الباحثين المحدثين يطلقون على مفهوم الإصلاح لفظة التجديد، و معنى التجديد كما جاء عند فضيلة المرحوم الشيخ الطاهر بن عاشور الذي قال:" معنى التجديد؛ تجديد الشيء هو إرجاعه إلى حالة الجدّة، أي الحالة الأولى التي كان الشيء عليها في استقامته وقوة أمره، وذلك أن الشيء يوصف بالجديد إذا كان متماسكة أجزاؤه، واضحا رواءه، مترقرقا ماؤه، و يقابل الجديد الرثيث.و الرثاثة انحلال أجزاء الشيء و إشرافه على الإضمحلال"[13]

و تتجلى جدة الدين و صفائه في نظر الشيخ ابن عاشور، في خمسة أشياء

* **أولها:** العمل به و تحقيق مقاصده

الثاني: نصره و إقامته

الثالث: انتشاره و زيادته و تسهيل بثه

الرابع: حراسته و حفظه من تدخل الضلالات .

الخامس: دفع نائبة حلت بالإسلام إذا استمرت أفضت إلى طمس معالم الدين أو إفساد الإيمان أو ذهاب سلطانه"[14].

ومن حكمة الله في بقاء هذا الدين على مرِّ الأعصار و اختلاف الدهور و الأمصار أن حفظ هذا الدين و قيّض له من ينافح عنه و يدافع فلا تصيبه مظاهر الانحراف في جميع عناصره و أركانه، و لذلك ضمن استمراره و بقاءه. " و قد تمتد إليه يد الرثاثة من إحدى نواحي جدته فهو لا يرثُ من جميع نواحيه لأن الله قد ضمن حفظه و لكنه قد تتسرب عليه أسباب الرثاثة من إحدى النواحي فيُشاهد الضعف فيها فيبعث الله له من يجدّده بأن يزيل عنه أسباب الرثاثة و

---

[12]- م س، ص 14.

[13]- الشيخ الطاهر ابن عاشور، تحقيقات و أنظار في القرآن و السنة ، ص 112.

[14]-م س ، ص 113.

يرده جديدا ناصعا"[15] .و ذلك ما فعله المصلحون والمجددون في القرن التاسع عشر والقرن العشرين* بما بذلوه من جهود لتطهير العقائد وإقامة شرع الله و أحكامه على أفعال الناس وسلوكاتهم و تسييج حياتهم بأوامر الدين و نواهيه.

" فالتجديد الديني يلزم أن يعود عمله بإصلاح الناس في الدنيا: إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين كما هي، وإما من جهة تجديد سلطانه"[16] في النفوس والعقول،و عند الأفراد والجماعات و بذلك تعود له نصاعته ورواؤه وتشرق به الأقوال و الأفعال و تزدهر به الحياة و يعود لها رونقها و بهاؤها.

و ليس التجديد كما يتبادر لأول وهلة هو التخلي عن الأصول و الثوابت التي جاء بها الدين، و تعويضها بأخرى جديدة ربما لا تمت إلى الدين بصلة من قريب أو من بعيد،وإنما كما قال الدكتور يوسف القرضاوي:" إن التجديد لشيء ما هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد. وذلك بتقوية ما وَهَى منه، و ترميم ما بلى، و رتق ما أنفق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى.فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر فهذا ليس من التجديد في شيء."[17]

كما يقوم بمهمة الإصلاح والتجديد في المجتمع أفراد هنا هناك أيضا، يمكن أن" يقوم بالتجديد و الإحياء جماعة أو مدرسة أو حركة: فكرية، أو تربوية، أو جهادية يتواصى أهلها بالحق والصبر، ويتعاونون على البر و التقوى.و قد يقوم بمهمة التجديد أفراد أو جماعات متناثرة، كل في موقعه ومجال اهتمامه واختصاصه. هذا في مجال العلم والفكر، وذاك في مجال السلوك

---

[15]- م س، ص نفسها.

*- انظر، أحمد أمين زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 10 و ما بعده.ا

[16]- م س، ص نفسها.

[17]- د/ يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين و تنهض بالدنيا، ص 28.
للمزيد انظر،د/محمد البهي ، الفكر الإسلامي و المجتمع المعاصر ، ص 449 و ما بعدها.كذلك أنظر د/ محمد عمارة ، معركة المصطلحات ، ص 167 و ما بعدها.و انظر كذلك ، د/محمد سعيد رمضان البوطي ، هذه مشكلاتنا ، ص 38.

والتربية وثالث في مجال خدمة المجتمع، ورابع في مجال الحكم و السياسة، وآخرون في مجال الجهاد و المقاومة"[18].

ج ـ تـاريخ الإصـلاح:

إن الدارس بإمعان للنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وَبحكم وجود الاستعمار في معظم البلاد العربية و الإسلامية، وضغطه على الواقع المعيش، بما جلبه إلى البلدان المستعمرة إذ خلق واقعا جديدا لم يكن به عهد لهذه البلاد أو تلك ، يدرك أن صدمة وقعت للأوطان العربية والإسلامية بسبب هذا الوضع الجديد من جرّاء وجود المستعمر،فانقسمت طلائعه أونخبته إزاء الحضارة الغربية الوافدة عليهم إلى تيارات ثلاثة: المنبهرون، الرافضون، و المجددون؛ أو من عُرفوا بالإصلاحيين المنفتحين على الحضارة، مع عدم التفريط في الأصول التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف[19]. يقول الأستاذ شايف عكاشة " رأينا الفريقين السابقين خضعا لميزان الإفراط و التفريط، فالأول أهمل حياة العصر و عاد إلى الماضي يرتشف ثمالة أسلافه، في حين أهمل الفريق الثاني ماضي أمجاده و انكب يرتشف ثمالة أسياده الغربيين، و بمقارنة بسيطة يتجلى لنا أن كلا الفريقين ظل يعيش على هامش. فالأول عاد ليعيش على الهامش أطلال الحضارة الإسلامية، و وثب الثاني إلى هامش الحضارة الغربية فكلاهما ظل بعيدا عن المنهج السليم الذي حاول الفريق الثالث أن يتشبث به. و زعماء هذا الفريق كثيرون، من أقطابه المبرزين "جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا، محمد إقبال، طنطاوي ، جوهري، فريد وجدي، عبد الحميد بن باديس، مالك بن بني..."[20]، الذين كان لهم دور فعّال في بعث النهضة و الحركة الإصلاحية الحديثة، في أنحاء العالم العربي و الإسلامي، و لكن الملاحظ أن هذه التيارات في العالم العربي و الإسلامي لم تكن على وفاق و انسجام فيما بينها، لاختلاف مشارب كل منها فـ" قد وجدت الشعوب الإسلامية أن عليها و هي تحشد قواها المعنوية و الفكرية في نضالها ضد أوروبا للدفاع عن عقيدتها و عن حريتها، أن تبدأ بتغيير

---

[18]- م ن، ص 20.

[19]- انظر، شايف عكاشة، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ص 8 ، وانظر كذلك الدكتور إسماعيل زروخي دراسات في الفكر العربي المعاصر ، ص 15 وما بعدها.

[20]- م س، ص 10.

أوضاعها الاجتماعية الثقافية. و أدى ذلك إلى كثير من الأزمات بين الجيل القـديم و الجيـل الجديد و فيمّا بين الأوساط الاجتماعية و كذلك على الأخص عند المثقفين بين أنصار التجديد و المدافعين عن الأفكار و القيم السلفية باعتبارها أفضل تعبير عن النموذج الإسلامي"[21].

كان ذلك عند المحافظين ـــ التقليديين ـــ الذين رأوا الحل في التمسك بأوامر الدين و نواهيه بحرفية تامة لا هامش فيها للتحرك مع مستجدات الحياة ومتطلبات العصر الحديث. "... بينما كان هَمُّ أنصار" النهضة" ينصرف إلى تعويض ما حدث من تأخر في العالم الإسلامي من الناحيتين الاجتماعية والثقافية، كانت البحوث التي تستلهم مقاصد دينية تهدف إلى خلق ديناميه للتجديد و الإصلاح توفق بين المعطيات التقليد و ظروف الحياة العصرية"[22]. و هم فئة من الإصلاحيين " كانت رؤيتها تقوم على الجمع بين القديم النافع و الجديد الصالح، و الانفتاح على العالم المعاصر دون الذوبان فيه، والثبات على الأهداف والمرونة في الوسائل، والتشديد في الأصول والتيسير في الفروع وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالانفتاح الحضاري"[23].

و يلخص زميلنا الدكتور محمد زرمان مفهوم الانفتاح الحضاري الذي اتصفت به جماعة من المصلحين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فيقول:" ونعني بالانفتاح الحضاري الاستفادة من المعطيات الحضارية الغربية الجديدة باقتباس علوم طبيعية وعلوم التمدن المدني والعلمي مثل: علوم الزراعة والحيوان، وعلوم الصناعات والحرف والتجارة، وعلوم طبقات الأرض وأنواعها ومعادنها، والرياضيات والكيمياء والفيزياء والفلك، و علم الجغرافيا و البحار و الملاحة و ما إلى ذلك مما يتصل بعلوم المادة وظواهرها"[24].

و يبّرر الدكتور محمد زرمان أسباب تفتح هؤلاء الإصلاحيين على مثل هذه العلوم الإنسانية و الطبيعية بقوله:" فهذه المعلومات التي تتخذ من الطبيعة موضوعها، هي معارف مشتركة بين جميع الناس لأنها تتميز بحياد مناهجها وبخضوعها للتجربة الحسية الملموسة والتي لا

---

[21]- د/ علي مراد، الإسلام المعاصر، ترجمة محمود علي مراد، ص 28.

[22]- م س، ص 32.

[23]- د/ محمد زرمان ، الانفتاح الحضاري و مكانته في نظرية التغيير الإسلامي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الموافقات ع 5 جوان 1996 ص 136.

[24]- م س، ص نفسها.

تختلف قوانين علمها مهما اختلفت العقائد والأجناس و المذاهب، ويمكن أن نضيف عليها ثمرة التجارب الإنسانية عبر تاريخها الطويل في التنظيمات الإدارية والوسائل والخبرات العامة، و التي تمثل أوعية صالحة يتم إخضاعها للمثل و المضامين التي تهدف إليها من يستلهمها"[25].

و الدارس للحركات الإصلاحية الحديثة و المعاصرة، يجد أن أبرزها يرجع إلى تلك الأفكار والدعوات التي أطلقها كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني[26]و تلميذه الشيخ محمد عبده[27]. ثم انتشرت تلك الأفكار في العالم الإسلامي و شاعت بين الأوساط الشعبية والمثقفة عن طريق وسائل مختلفة الأفكار و تلاحقها بين بلاد الشرق و بلاد المغرب العربي.

لقد عرفت الجزائر الفكرة الإصلاحية منذ نهاية القرن التاسع عشر و تأكد ذلك بصورة جلية واضحة بعد زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر في سبتمبر سنة1903م " و من الذين برزوا في هذه المرحلة نذكر الشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1913) الذي عُرف برسالته الشهيرة " إرشاد المتعلمين" نشرت في القاهرة (سنة 1877) و تخرّج على يديه الشيخ حمدان لونيسي الذي سيصبح فيما بعد أستاذا لعبد الحميد بن باديس و الشيخ أبو القاسم الحفناوي (1852-1942) المفتي المالكي و صاحب الكتاب الشهير " تعريف الخلف برجال السلف" الصادر في الجزائر (الجزء الأول 1905، الجزء الثاني 1907) ،و الذي درّس في الجامع الكبير بالعاصمة مساهما بذلك في توضيح صورة الماضي في أذهان الجزائريين وخاصة في المحافظة على التراث الثقافي، و الشيخ مصطفى بن خوجة (1865-1915) الذي اهتم كثيرا بشؤون المرأة الجزائرية وبنشر أعمال المفكرين المسلمين وتحقيقها و هو صاحب كتاب " الإكتراث في حقوق الإناث" الصادر في الجزائر سنة 1897. و الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866-1933) رائد الاتجاه السلفي في الجزائر و كان مدرّسا في المدرسة الثعالبية الرسمية في العاصمة وهو الذي أصدر فتوى تحرم محاربة العثمانيين أثناء الحرب العالمية الأولى"[28].

---

[25]- م س، ص 136-137.

[26]- انظر، أحمد أمين، زعماء الإصلاح. ص 59 وما بعدها.

[27]- انظر، م س، ص 280 وما بعدها

[28]- محمد طهاري، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر الكتاب الثالث الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص 9-10.

ثم ازدادت هذه الأفكار الإصلاحية ذيوعا و انتشارا بعد أن صَدّعَ بها الشيخ عبد الحميد بن باديس في سنة 1925 ، وخاصة في جريدتيه المنتقد و الشهاب، وسانده في ذلك أولئك العلماء من الرعيل الأول من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بعد. و قد كان ذلك بعد عودة أكثرهم من بلاد المشرق أو تونس، مثل الشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي ومبارك الميلي ومَنْ إليهم من رجال الإصلاح الذين ناصروا ابن باديس فكتبوا في جريدتيه، و ألقوا الخطب و المحاضرات، و نظموا التجمعات وحضروا اللقاءات." و من هذا التاريخ ظهر ما يمكن أن يسمى" بالحركة الإصلاحية" في الجزائر حيث انتشر دعاتها في شتى المناطق ثم تكونت " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" عام 1931* التي أصبحت تجمعا منظما يمثل "حزبا" إصلاحيا على نحو ما، له منهجه و مبادئه، و أهدافه الخاصة[29].

عملت الحركة الإصلاحية في الجزائر ممثلة في هيئة " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" على إحياء العقيدة الإسلامية الصحيحة والسلوكات والأخلاق الإسلامية الخالصة من كل شوائب العادات والتقاليد البالية،التي لحقت بهذا الدين على مر القرون ومرِّ السنين الطويلة. وحاربوا البدع والخرافات التي لحقت الدين سواء في العقيدة أو العبادات، و عملوا على إحياء السنة النبوية الشريفة، و بعث نهضة أدبية و فكرية والتحموا بالشعب و تغلغلوا في خلايا المجتمع الجزائري ،و تحسَّسُوا آماله و أحلامه و عرفوا أدواءه و آلامه، فكانوا واقعيين بحق في تعاملهم مع كل القضايا التي حاولوا معالجتها و المشاكل التي راموا حلها. يقول الدكتور عبد الله ركيبي " ... إن حركة الإصلاح في الجزائر امتزجت بالجماهير من خلال هذا التنظيم، بحيث كونت لها مناضلين من أبناء الشعب وزرعت أفكارها بين جميع الفئات و الجماعات، حتى أنه يمكن القول بأنها تغلغلت في قطاعات الشعب جميعا،وهذا ما ضمن لها الاستمرار و حقق لها النجاح"[30] حتى وصلت بالبلاد إلى مستوى من الرقي الفكري والنفسي أهّلها لأن تخوض المعركة في 01 نوفمبر 1954م. و صدق محمد العيد آل خليفة الذي لخص كل ذلك في قوله:

29- د/ عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 559-560.

*- كان ذلك في يوم 05 ماي 1931 بالجزائر العاصمة .

30- المرجع السابق ص 562.

31- محمد العيد ، الديوان ، ص 436

ثورة الشعر أنتجت ثورة الشعـْـــب وعـــادت عليه بالآلاء[31]

لعبت الحركة الإصلاحية في الجزائر دورا مهما في بعث الروح الوطنية و الحفاظ على عناصر الهوية الجزائرية وأوجدت بحق جيلا من النخبة المثقفة طلائعية التفكير، إسلامية الروح، عربية النفس في الوطن الجزائري. و لا غَرْوَ فـ" إنّ كل حركة تغييرية تسعى إلى تكوين طليعة قيادية تؤمن بفكرتها، وتتولى حملها، وتعمل على نشرها في الأوساط الشعبية وتضمن لها القدر الكافي من الاستمرارية و التواصل"[32] حتى تضمن استمرار الفكرة نفسها في الأجيال المتلاحقة.

والملاحظ، أن الحركة الإصلاحية في الوطن الجزائري، ركّزت على الجانب الديني في ثورتها الفكرية و نهضتها الإصلاحية والأدبية إلى أبعد الحدود، و هذا ليس جديدا على الحركات الإصلاحية عامة إذ " الدين بالنسبة للمسلم سلوك شخصي في حياته الخاصة والتزام وانضباط في حياته العامة هو المواطنة و ما تعتمد عليه من ضوابط وهو الانتماء و ما يرتكز عليه من أسس. و لهذا السبب ارتبطت الثورات في تاريخ الإسلام أبدا ببعث روح الدين في حياة الناس لأنها المحرك الحقيقي لوجودهم"[33] و الحقيقة لقد تظافرت جهود كل القوى الوطنية والإصلاحية و النخبة في إنجاح هذه الثورة الفكرية والنهضة الأدبية التيْ عرفتها الجزائر قُبَيْل قيام الثورة التحريرية.

بكل تلك الجهود وبفضل أولئك الرجال " الذين مهّدوا لقيام نهضة فكرية و أدبية إن لم نقل ثورة ثقافية قبل أن يخوض الشعب المعركة الحاسمة مع المستعمر، و بعد أن هيئوا جيلا و بنوه من الداخل بناءً مكّنه أن يخوض ثورة مادية بعد أن خاضها الأدباء من قبله"[34].و هذا وضع طبيعي عرفته ثورات أخرى في العالم على مختلف اتجاهاته و مشاربه، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في هذا الصدد:" كل الثورات الشعبية مرت حتما بمرحلة

32– محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص 270.

33– د/ عون الشريف قاسم، الإسلام و الثورة الحضارية، ص 360–361.

34– كمال عجالي، الطيب العقبي أديبا، ص 488.

تعبئة ووجدانية و غليان فكري تولى قيادتها جنود القلم و الكلمة مستبسلين، عن التزام لم يفرضه عليهم أحد"[34].

و خلاصة القول التي يمكن أن نخرج بها عن مفهوم الإصلاح و تاريخه؛ هي أن الفكرة الإصلاحية التي عرفتها الجزائر قد تحولت إلى حركة فعّالة متفاعلة مع أحداث الحياة اليومية لشعب الجزائر، الذي أعادت و بعثت فيه الروح الإسلامية والوطنية والقومية و هيّأته نفسيا وروحيا لكي يخوض المعركة الصارمة في حياته ضد المستعمر الفرنسي الغاشم.

كما أعادت الشعب الجزائري إلى جادة الصواب، ووضعته على السكة ليواصل طريقه و يحقق استمرار وجود كيانه العربي المسلم، رغم ما وضعه الاستعمار وأذنابه من عراقيل ومَطبّات. وتحقّق فعلا للحركة الإصلاحية ما كانت تصبو إليه من أهداف، متمثلة في تحقيق الاستقلال للجزائر، وحفظ كيانها من التلاشي والذوبان في غيره.

و أعادت للجزائر عزّتها وكرامتها، وتحقّق لها النصر المبين بفضل الثورة التحريرية المباركة وما تقدّمها من جهود و أعمال لا يمكن أن ينكرها إلا جَحود متنكر للواقع و لمجريات التاريخ و أحداثه.

ثم إن الآمال معقودة على شباب الاستقلال و من جاء بعدهم للمحافظة على هوية هذا الشعب، وحرمة هذا الوطن الذي روي كل شبر فيه من دم الشهداء، و اختلطت بكل ذرة من أجسامهم الطاهرة التي ملأت ربوع القطر الوطني حيث لا تجد مترا لا يحتوي على رفات أحدهم.

وعليه، فإن المسؤولية ثقيلة على كاهل هذه الأجيال المتلاحقة بعد الاستقلال، التي يحتّم عليها الواجب التاريخي و الأخلاقي و الحضاري، الحفاظ على هذا الإرث المجيد المتمثّل في الدفاع عن الوطن و قيّمه، و هويّة هذا الشعب لحفظ كيانه، بكل ما يضمن استمرار عروبة و إسلام و قيَم و تاريخ و عادات وتقاليد، تميّزه عن غيره، و تجعله هو لا غيره، بكل مقوماته المتفردة المتميزة ، و انتمائه العربي الإسلامي الواضح الصريح.

[35]- د/ عائشة عبد الرحمن، (بنت الشاطئ)، قيم جديدة للأدب العربي القديم و المعاصر ص 275.

من شعر الحطيب العقبي

لجأ اللاجئــون للمخلــوق و رجــوه لشــدة و لضيــق
وأنا ما دعوت إذْ دهم الخطـــ ـــب سوى الله تلك هي طريقي

***

أسفي على الآداب و الأخلاق أسفي على الذوق السليم الراقي
أسفي على بعض الرفاق فإنهم فقــدوا سجيّة كــاملي الأذواق
عهـــدي والرفق من أخلاقهم فــإذا بهم خلــق من دون خلاق

***

شرّ الورى من عاش طول حياته في الخمر منهمكا و في لذاتــه
لا يرعوى عن غيـــه و ضـــلاله وإذا انتشى فإلى الشقــاء بذاته
أشقى ذويـــه و والديه وزوجه وبنوه قد تعبوا وكـــل بناته
قد ضيع الدنيا و أذهب عقلـــه والدين أصبح من كبار عداته
إن عاش فهو إلى الضلالة سائر أو مات كيف يكون بعد مماته
يسطو على جيرانه في سكره و إذا صحـــا لم يأمنوا عثراته
وكفاه من خزي مقاله قائـــل لا تصحب السكران في حالاته

الفصل الثالث

الإصلاح في المجال الديني

أ ــ تطهيــر العقيــدة.
ب ــ محاربة البدع و الخرافات.
ج ــ محاربة الزوايا و الطرقية المنحرفة.
د ــ محاربة الأئمة الموظفين.
هــ ــ الدعوة إلى الأخــلاق،
وــ محاربة الآفات الاجتماعية.

أ- تطهيـــر العقيـــدة:

لقدْ رانَ على العقيدة الإسلامية وضرب بأطنابه فكر خرافي، بعيد عن صحيح العقيدة الإسلامية وصفائها و نقائها و بساطة طبيعتها، جراء ما دخل عليها من شوائب عبر القرون الطويلة. فكأن أول ما كتب العقبي في جريدة " صدى الصحراء" لصاحبها أحمد بن العابد العقبي[1]، مقرضا تلك الجريدة بمقال جاء فيه: " انتبه اليوم أبناء الإسلام في كل ناحية و كل قطر و سرت روح الشعور الحي بين جموعهم فهبوا إلى العمل النافع و أعملوا الفكر في أخصر الطرق و أقربها لديهم،فما وجد عقلاء المفكرين و حكماء المرشدين مثل قرع باب الإصلاح والرجوع بالأمة (من حيث الدين و العقائد) إلى ما كان عليه سلفها ورد كل خلاف أو نزاع بين كل طوائفها و مذاهبها إلى أصل الدين الذي هو الكتاب و السنة و عمل السلف الصالح"[2].

لقد ركز العقبي من خلال نصه السابق على العقيدة أولا و قبل كل شيء ،لأهمية هذا الجانب في الدعوة الإصلاحية، و لما للعقيدة من دور فعال في سلوك الفرد و الجماعة،و لما يترتب عليها من أعمال و سلوك و عبادات، لا تصح إلا بصحة العقيدة نفسها. و ذلك لأن العقيدة بالنسبة للمسلم بمثابة الروح للجسم إذ لا حياة له بغيرها.

و الذي أفهمه شخصيا أن العقبي إذ بدأ أولا بإصلاح العقائد، و تطهيرها من الخرافات و الأفكار الضالة و الأوهام الباطلة، إنما كان يقصد إلى بناء الإنسان بناء داخليا قبل الظاهر.لأن مدار الأمر كله على داخل الإنسان، الذي باستقامته يستقيم ظاهره.و إذا ضمن سلامة عقيدته فإنه لا محالة يضمن له حياة صالحة مثلى دنيا و أخرى. و كل ذلك، بالعودة إلى منابع العقيدة الصحيحة من قرآن و سنة و عمل السلف الصالح المشهود لهم بالسبق و الأفضلية على بقية القرون اللاحقة.ثم يقول مخاطبا القراء في جريدة الإصلاح، و هو يقصد قراءها من أتباع الفكرة الإصلاحية، قال: "...و خير أنواع الإصلاح ما وافق المعقول و المشروع، و أتى المصلح فيه

---

[1]- انظر، د/ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 62 وما بعدها.

[2]- الطيب العقبي، (فكرة حرة) صدى الصحراء، ع3 ، 7 / 1925/12، وانظر كذلك ، د/ عون الشريف قاسم، الدين في حياتنا ص 10وما بعدها وكذلك ص 20 وما بعدها.
و كذلك انظر الطيب العقبي (الدين و الاجتماع)، المنتقد ع 6. 6 أوت 1925.
وكذلك أ نظرد/ محمد البهي ، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ص 176 وما بعدها .

البيوت من أبوابها...و أهم كل مهم و أولاه بالتقديم عندنا مسألة العقائد و الكلام على تصحيحها.و لا إصلاح إلا بتصحيحها فقد أفسد الناس من أمرها ما أضر بالعامة و سرت العدوى منه حتى لبعض الخاصة...و ليس من الممكن جمع كلمة الأمة و توحيدها في أفكارها،مادامت مختلفة في عقائدها،متباينة في مشاربها و أهوائها..."[3].

فالرجل كان مدركا بحق فعالية دور العقيدة في الإصلاح،فبتفرق العقائد وتشتت الأهواء،وتشتت الجماعة يصعب جمع كتلتها. و ما أحوج الجزائر في تلك الفترة إلى جميع الكلمة وحشد القوى نحو هدف واحد ،وهو الخروج بالأمة من عثرتها التي كرسها الاستعمار الفرنسي الحقود هو و أذنابه.

كما يرد العقبي على تلك الهجمة الشرسة، التي كانت تتردد على ألسنة بعض المهزومين روحيا و فكريا، الزاعمين أن الدين هو سبب تأخر الشعوب و الجماعات.فردَّ عليهم بكل ثقة و اعتزاز بقوله " بل سبب انحطاطنا ما أحدثه المحدثون في الدين و ما أعطوه من عند أنفسهم اسم الدين و ما شرعوه لنا في الإسلام مما لم يأذن به الله و دعوا الناس إلى اعتقاده و العمل بمقتضاه"[4].

و لما نشر عاشور الخنقي[5] قصيدته" قرة العين في مدح الغوثين". كشف العقبي ما فيها من عقائد مخالفة لصريح القرآن و صحيح السنة و اعتقاد الجمهور.فقال العقبي معرفا الولاية اللاحقة " إن أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا و الآخرة هم المؤمنون المتقون و التقوى هي امتثال الأوامر و اجتناب النواهي ظاهرا و باطنا كما قال سيدي ابن عاشور:

و حاصل التقوى اجتناب و امتثال   في ظاهر و باطن بذا تنال

---

[3]- شعار الجريدة، الإصلاح ع 01. 1927/09/08.

[4]- الطيب العقبي(الدين و الاجتماع)، المنتقد، ع 6، 6أوت 1925.

[5]- شاعر جزائري حديث كان كفيف البصر، طرقي النزعة، انظر، ترجمته في، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 136.

و لا أوامر إلا بتكليف من الشارع.إذ هو الحكم وحده و إليه يرجع الأمر كله كما أن الشرع هو الذي ينهى و ليس لغيره ذلك،فمصدر المأمورات التي يجب امتثالها و المنهيات التي يتعين اجتنابها هو الشرع لا غير"[6].

فمن الانحراف العقيدي أن يأخذ المرء- المسلم طبعا ــ عيقدته من تصورات البشر و أوهامهم.و من الخطر الفكري تصور النقص في الدين يمكن أن يكلمه الإنسان.كما أنه مستحيل اعتقاد أن للبشر حق التشريع بدلا عن صاحب التشريع الذي هو الله و حده.إذ قال: " فالدين بحمد الله بكامل محفوظ و سنة نبينا صلى الله عليه و سلم مضبوطة مشروحة منفي عنها غلو الغالين و انتحال المبطلين،و ليس لأحد كان من كان أن يزيد في دين الله سنة أو فرضا بعدما جف القلم على ذلك و طويت الصحف و سبقت كلمة الله العليا قولة كل قائل و حديث كل محدث كيفما كان و كانت طريقته، إذا الحكم لله وحده و إليه يرجع الأمر كله و إليه تصير الأمور"[7].

و يصحح العقبي اعتقادا لدى البعض الذين يرون أن الدين اختيار شخصي وعمل طوعي يأتي منه المرء ما شاء و متى شاء.فيرد العقبي على هذا الاعتقاد الفاسد فيقول:" يحسب كثير ممن ينتسب إلى الإسلام أو يدعي إليه أن هذا الدين في عقائده الحقة، و أعماله الصالحة و كلمه الطيب، هو عبارة عن الثوب يلبسه متى شاء التستر به و ينزعه عنه متى شاء و أنه من العمل الاختياري، و الكسب المعتاد غير القسري، و الحقيقة فيه أنه غير ما يحسبون و الواقع الذي تشهد به البراهين اليقينية بخلاف ما يدعون"[8].

و كما لله سبحانه و تعالى الخلق و الإنشاء فله وحده كذلك، التشريع لخلقه ما شاء. و من ادعى لنفسه ذلك فقد باء بالخسران المبين و عليه يقول: " لا يملك مع الله من أمر التشريع شيئا كما أنه ليس له من الخلق مع الله شيء"[9].

---

[6]- الطيب العقبي (حول القصيدة العاشورية) المنتقد ع 17، 22 أكتوبر 1925.

[7]- م س.

انظر كذلك، الطيب العقبي، الدرس اليسار (الإسلام دين الله الخالد) البصائر ع 04. 25 جانفي 1936.

[8]- الطيب العقبي، (الإسلام دين الله الخالد)، البصائر ع 3، 17 جانفي 1937.

[9]- الطيب العقبي، (الإسلام دين الله الخالد)، البصائر ع 4، 24 جانفي 1937.

و العبادات هي أيضا، تحتاج إلى تصحيح و تطهير مما لحقها من ألف العادة وآفة التكرار، لذلك ذهب الطيب العقبي في دعوته الإصلاحية يدعو إلى جعل العبادات مرتقي للنفوس و التسامي بها نحو الأعلى وتزكيتها من الأدران والخبائث. فقال عن عبادة الصوم مثلا:"فكان من نعمة الله التي أتمها على عباده المؤمنين أن يصقل أرواحهم بصقال من تعاليم دين الرحمة وما هذا الصقال للأرواح سوى(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان)* مغذّي النفوس بغذاء الإيمان ومزكيها،ومرقي الأرواح إلى درجات الكمال ومعليها..."[10].

نجد من خلال ما سبق، أن الرجل قد بدأ في معالجته لهذه القضية معالجة منطقية بدأها بالحديث عن العقائد وأنهاها بالحديث عن العبادات لأن الرجل يدرك أن الصلاح الحقيقي والإصلاح الفعال هو ذاك الذي يبدأ في بناء المرء بناء داخليا (جوانيا) ثم إذا صلح من هذا الجانب فمن السهل الميسور إصلاح الظاهر والأعمال والسلوكات، حيث يقول نفسه"إذ الأعمال إنما هي نتائج العقائد تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها،وقد فسدت العقائد عند أكثر الناس لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"[11].

ولدور العقيدة في بناء الشخصية الصالحة وتربيتها بطريقة مثلى جاء قول سيد سابق"...العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك،و تزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى فضلا على أنها حقائق ثابتة وهي تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق،وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية"[12]، فما أحرى العقبي أن يلقب برائد الإصلاح الجزائري الحديث[13]!.

---

* - البقرة: 185.

[10] - الطيب العقبي، (مشروعية صوم رمضان)، البصائر ع 45، 27 نوفمبر 1936.

[11] - الطيب العقبي، (الدين و الاجتماع)، المنتقد، ع 6، 6 أوت 1925.

[12] - سيد سابق، العقائد الإسلامية، ص 10.

[13] - انظر، محمد الطاهر فضلاء. الطيب العقبي رائدا لحركة الاصطلاح الديني في الجزائر ص الغلاف.

ب- محاربة البدع و الخرافات:

ومن جملة ما كان مسطرا في برنامج العقبي الإصلاحي محاربة ما تفشى في المجتمع الجزائري من بدع وخرافات لحقت العقائد والشعائر الدينية والعبادات وما يترتب عن ذلك من أمراض اجتماعية فتاكة،تكاد تقضي على البقية الباقية من روح المجتمع.فقد جاء في مقاله في تقريض جريدة صدى الصحراء: " فسيري (يا صدى الصحراء) في طريق الحق المبين،و انتهجي منهج الإصلاح واعملي على تهذيب الأخلاق ونشر الفضيلة بقتل الرذيلة(وادركي المفسدة قبل المصلحة كما هو شعارك الوحيد) و قاومي البدع و الضلالات و كل ما سنه أهل الخرافات قبل أن تقضي على حياتنا الاجتماعية القضاء الأخير"[14]

فلما أن أحس الرجل بالأخطار الداهمة من جراء هذه البدع و الخرافات هاجمها بدون هوادة و تشدُّد في هجومه[15]، و أنكر على أصحابها ما كانوا عليه من اعتقاد و سلوك مغاير لصريح الشرع و صحيح الاعتقاد،وقسا في مهاجمتهم،دون هوادة.و قال في مجمل ما قال و هو يعدد أهداف جريدته الإصلاح[16] التي تهدف:"...للعمل على تحطيم الخرافات و هدم الأوهام كواجب أول لتنوير الأفكار،و تهذيب الرأي العام"[17].

ذاع في المجتمع الجزائري التوسل بالأموات و الاستعانة بهم في قضاء الحاجات والاتكال عليهم في كثير من شؤون الحياة،و أصبحت تضرب بهم الأمثال،و تشد إليهم الأسفار والرحلات،فشجب العقبي هذه الأعمال وسفّه كل من يقوم بها[18] و قال شعرا:

لجأ اللاجئـــون للمخلـــوق	و رجـــوه لشـــدة و لضيـــق
وأنا ما دعوت إذْ دهم الخط	ب سوى الله تلك هي طريقي[19]

---

[14]- الطيب العقبي(فكرة حرة)، صدى الصحراء ع 03، 1925/12/07.

[15]- انظر، الطيب العقبي(سيل البدع الجارف)، الإصلاح ع 2، 1929/09/05.

[16]- انظر، د/ محمد ناصر، الصحف العربية.ص85 وما بعدها

[17]- (شعار الجريدة)، الإصلاح ع 1، 08 سبتمبر 1927.

[18]- الطيب العقبي، (يقولون و أقول)، الشهاب ع 124 س 3، 1927/12/01.

[19]- الطيب العقبي، (الاعتقاد و الانتقاد أو نحن و قانون السلم)، الإصلاح ع 18/10/12 1940.

و قد يذهب البعض إلى أنهم لا يقصدون من وراء ما ابتدعوه في الدين سوى التقرب إلى الله لا غير فيرد العقبي على هؤلاء بقوله مُفنِّدا دعواهم:ولو كانوا بحسن النية " وإذا كان أمر التشريع لله و حده فليس لكائن من كان أن يشرع لنفسه أو لغير نفسه من الدين ما لم يأذن به الله مهما كانت مقاصده في هذا التشريع ومهما ادَّعى من ابتغاء قربة ووسيلة إذ لا يكفي في رفع الحرج عمن تجاوز الحدود و أفتأت في فرض الشرائع على الناس و تقنين قوانين العبادة و الديانة أن يكون حسن النية سليم القلب و طيب السريرة زاعما أنه بما شرع و ابتدع يبتغي إلى الله الوسيلة ويريد التقرب منه"[20].لأنه ليس للمرء أن يحدد نوع العبادة أو الاعتقاد و إنما ذلك من الله لا من أحد غيره،مهما كانت مكانته ورتبه في هذا الوجود،ولو كان نبيا مرسلا.يقول عن المعتقد بجواز ذلك:"بل عمله هذا (وهذه نيته وقصده) مما يوقعه في الحنث العظيم والحرب الكبير ذلك لأن النية مهما كانت حسنة لا تغير من حقائق الأشياء و لا تُصيِّر المتبوع تابعا والمشروع له شارعا كما أنها لا تصير الطاعة معصية ولا المعصية طاعة في حدود الله التي حد وقوانينه التي سن ولا يقرب العبد إلى الله إلا عمله بما أمره به الله و انتهاؤه عما نهاه"[21].

وفي لهجة حادة و أسلوب قاطع يصدع لهؤلاء وأولئك بأن عملهم ذاك محض هواء و اتباع لحظوظ النفس وشهواتها إذ:"كل ما لم يثبت كعقيدة حتى برهانها ودليلها القاطع فليس هو من دين الله في شيء.و لا يعقل أن يتوسل إلى الله بغير دينه المشروع وشرعه الذي يجب أن يدان به و يتبع.ولا أظلم ولا أطغى في العباد ممن يبتغي الوسيلة إلى الله بغير ما جاء به الدين ويحاول القرب من الله بغير شرعه المستبين وسواء أشرع ذلك لنفسه فضل أم لغيره فأضل"[22].

ثم يلقي العقبي باللائمة على العلماء المصلحين، الذين من واجبهم تبيان الحق للعامة وتبصيرها بدينها الصحيح من عقيدة وعبادات وسلوكات ومعاملات،حيث هم خواص الأمة وهداتها إلى الطريق الصحيح وهم الجدار الأمم والسد المنيع أمام سيل الخرافات والبدع والأوهام التي ضربت بأطنابها وحطت بكلكلها على صدر الأمة الجزائرية."وخواص كل أمة هم

---

[20]- الطيب العقبي، (الإسلام دين الله الخالد)، البصائر ع 4، 24 جانفي 1936.

[21]- م س.

[22]- م س.

المسؤولون عن دهمائها والمكلفون بإرشادها وهدايتها إلى ما فيه خيرها وسعادتها"[23]. فمن حق الأمة أن تعرف دينها على بنية،وتمارسه على علم ومعرفة لا عن جهل وأوهام و محض الهوى.وهذا كله من عمل العلماء بحيث:"لا يجوز للمسلم أن يقول في هذا الدين ما لم يأذن به الله والقائل قولا لم يأت الدليل النقلي بثبوته في الأقوال التي تعبد الله بها، والمعتقد في الإسلام عقيدة ما أنزل بها من سلطان ليس عليها من حجة وبرهان من أين له هذا في دين الله الخالد وشرعه العام؟"[24].

وبعمق الفكر ونفاذ البصر والبصيرة يحلل العقبي أسباب تفشي الخرافات والأوهام وانتشار الضلالات والأساطير،التي لا علاقة لها بالواقع ومعطياته فيرجع ذلك إلى سببين اثنين:الأول،الطبيعة البشرية.و الثاني: سكوت العلماء المصلحين.

فأما عن السبب الأول:الطبيعة البشرية فيقول:"لو كان الحكم للمخلوقين يعبدون الله بما شاءوا ويحكمون لأنفسهم بما يشتهون وبما ترضى ميولهم وأهواؤهم لما كانوا لله مطيعين ولا له عابدين ولكان كل منهم عابدا لهواه ومؤلها لغير مولاه (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) ولسادت على هذا العالم الفوضى واختل فيه نظام الحياة الاجتماعية أيما اختلال (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات و الأرض) "[25].

فالنفوس ضعيفة وطاقاتها محدودة ومداركها قاصرة ورغباتها لا متناهية ــ حسيا ومعنويا ــ ولا مخلص لها إلا مشرِّع من خارج ذاتها منزه عن كل ما من صفته الضعف والميل والهوى.

يقول العقبي:"البشر في ميولهم مختلفون وفي منازعهم وشهواتهم متباينون ومتعاكسون،ومصالح البعض منهم تصادم مصالح الآخرين وكل منهم يبتغي التغلب على غيره ويحب التفوق على سواه ويود أن لو استأثر بكل الوسائل التي تمكنه من الوصول إلى مراده ومبتغاه ولكنه ليس بواجد إلى ذلك سبيلا،ومنافسوه من بني جنسه والراغبين رغبته كثيرون

---

[23]– الطيب العقبي، (هل نحن في حاجة إلى الإصلاح اليوم)، السنة ع 03، 24 أفريل 1933.

[24]– الطيب العقبي، (الإسلام دين الله الخالد) البصائر ع 4، 24 جانفي 1936.

[25]– الطيب العقبي، (الإسلام دين الله الخالد) البصائر ع 4، 24 جانفي 1936.

يدركون إدراكه ويشعرون شعوره، ولهم من المصالح والأوطار مثل ما له أو أكثر، فأي مخلص من الفوضى والحال ما ذكر؟"[26].

والسبب الثاني سكوت العلماء المصلحين.هو الذي أدى إلى تفشي الأوهام والضلالات والخرافات والبدع حتى ظنها الناس من الدين فاعتقدوها.و ما هي من الدين في شيء.فكان الأحرى بالعلماء تبيان الحق للعامة حتى تأخذ دينها من أفواه العلماء ،لا من ألسنة الجهال والمتنطعين. فقال العقبي موضحا ذلك كله:"و بطول المدة وسكوت العلماء وانتشار دعاة الضلال والمبشرين بمذهب الدجال ظنها السواد الأعظم أنما هي الحق الذي لا غبار عليه حتى عاتبوا أو لاموا من أعرض عنها و م يأخذ مأخذهم من وجهتها وربما شددوا عليه.فنأوا عنه و لم يتنازلوا لسماع كلمة واحدة منه هذا إن لم يرموه بالزندقة وغير ذلك"[27].

من خلال ما سبق طرحه، نجد أن العقبي قد كان حربا ضروسا على البدع والخرافات وهاجمها بعنف وقوة،وبيّن أسبابها ونبّه إلى مخاطرها،التي تلح بشدة على العلماء أن يبينوا للناس الدين الصحيح والسنة الطاهرة.يقول الدكتور محمد ناصر وهو بصدد الحديث عن جريدة الإصلاح لصاحبها الطيب العقبي:"وقد فتحت منذ البداية جبهة واسعة لملاحقة الخرافات والأوهام وفضح ما في الزوايا من خبايا وهو ما جعل جريدة البلاغ الجزائري،لسان"حال العليوية" تتصدى لها هي الأخرى من حين لآخر، وتعد مقالات الشيخ الطيب العقبي في هذا المجال أصدق تعبيرا و أبلغ تصويرا.و كان لا بد أن تكون كذلك"[28].

ثم ندلف إلى نقطة ثالثة مهمة في مشروع العقبي الإصلاحي والتي تتمثل في محاربة الزوايا و الطرقية المنحرفة.

ج- محاربة الزوايا و الطرقية المنحرفة:

كانت الزوايا و الطرق الصوفية تمثل حجرة عثرة أمام زحف الاستعمار سنين طويلة فحاربته،ووقفت ضده في شكل ثورات ومقاومات مثل مقاومة الأمير عبد القادر ومن التف

26- م س.

27- الطيب العقبي، (الدين و الاجتماع) المنتقد ع 6، 6 أوت 1925.

28- د/ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية ص 87.

حوله من أتباع الطريقة القادرية[29]،ثم ثورة المقراني والشيخ بن الحداد وأتباعه من الطريقة الرحمانية وغيرهم كثير[30].

و لما أحس الاستعمار بذلك الدور الفعال لمثل هذه الطرق،عمل على اختراقها وتدجينها وجعلها في خدمته،وخدمة أهدافه الاستعمارية.فأصبح لهم من السطوة والنفوذ الشيء الكثير[31].كما أصبحوا حجر عثرة في طريق الجزائريين هذه المرة بما كانوا ينشرونه من بدع وخرافات،لا علاقة بصحيح الدين وخالص السنة[32].و كان من أوائل العلماء الإصلاحيين الذين تصدوا للزوايا والطرق المنحرفة الشيخ الطيب العقبي.قال الدكتور محمد ناصر:"والطيب العقبي ـــ فيما نعلم ـــ من أشد المصلحين صلابة موقف أمام الانحرافات الباطلة،قاومها بكل قواه خطيبا على المنابر،و كاتبا في الصحف،و لم ينقطع له نفس ولا تلجلج له كلام أمام تهديدات رجال الزوايا"[33].

لقد جرت بين العقبي وبعض رجال الزوايا والطرقية جولات عديدة،فكتب المقالات العديدة في هذا المجال والقصائد الطويلة ذات اللهجة الحادة.و ازدادت المعركة حدة وضراوة بعد حادثة الاعتداء على الشيخ عبد الحميد بن باديس[34]. فقال في انفعال " أأصرح بعقيدتي وأجاهر برأي ومنهجي،وهو الكفر بكل الطرق الباطلة في الإسلام فيعاديني الطرقيون ويقتلوني..."[35].

غير أن العقبي رغم حدته في هجوماته على الطرقية، لم يسف يوما و لم يتخلَّ عن آداب الجدال والحوار." ورغم ما عرف به من انفعال حاد وغضب عارم،فإنه كان نزيه اللفظ مترفعا

---

[29]-أنظر بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، ص 177 و ما بعدها.

[30]-أنظر كمال عجالي، محمد بن عزوز البرجي و كتابه قواطع المريد،ص 11 و ما بعدها

[31]- انظر، شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير ص 125.

و كذلك د/ محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي ص 346.

[32]- انظر، المجلس الإداري، جمعية العلماء، سجل مؤتمر جمعية العلماء، ص 54 و ما بعدها.و انظر كذلك، المودودي، مبادئ الاسلام ص 142 و ما بعدها

[33]- د/ محمد ناصر، المقالة الصحفية مج 1، ص 112.

[34]- انظر أحمد حماري ،صراع بين السنة و البدعة ج 1 ص 98 و ما بعدها .

[35]- الطيب العقبي، (جمعية التآمر بقتل العلماء)، الشهاب ع 80، س2، 20 جانفي 1927.

عن البناء لا يسف إسفاف" الزاهري" وإذا ما انساق وراء العاطفة يدفعه كره شديد للخرافات والبدع فإن جُلّ ما يرتفع إليه من درجات الحرارة أن يصب غضبه ذاك في قالب السخرية المريرة وقد يكون أحيانا سخريةضاحكة"[36].

وفي بعض الأحيان يوجه العقبي النصح لرجال الزوايا والطرق، فيدعوهم إلى جعلها أماكن للنفع العام والفائدة التي تعود بالخير العميم على قطاع عريض من الشعب فيقول:" أتمنى أن يحول بعض أرباب الزوايا ورؤساء هذه الأماكن الدينية إلى ملاجئ خيرية ومدارس أخلاقية يكون الغرض الوحيد منها نفع العموم لا نفعهم خاصة وبذلك يكونون قد سلكوا طريق مشائخهم وآبائهم الأقدمين..."[37].

بعد إنشاء جمعية العلماء في 05 ماي 1931،كتب العقبي في جرائدها مقالات عديدة،ضد المناوئين لرجال جمعية العلماء والمنفصلين عنها، من رجال الطرق والزوايا ومن تحالف معهم من النواب في المجالس الفرنسية،وازدادت الحدة مرة ثانية حين تعرض الشيخ محمد سعيد الزاهري إلى حادث اغتيال في وهران.فكتب العقبي مقالة بعنوان:(نحن والطرقيون) جاء فيها:"غير أن المحقق عندنا هو أن الجاني طرقي وأنه مدفوع على هذه الجناية من طرقي ضال وأفاك دجال ستظهره الأيام وسيلقى جزاء جريمته و ما اكتسبت غدا وإن غدا لناظره قريب وقريب جدا ما يوعدون"[38].

و قال في معرض هذا المجال شعرا ينتقد فيه الطرق وتصرفات رجال بعض الزوايا فقال:

فما(الطرق) في هذا الزمان بجـــادة ... و لكنها يبغـــي بـــها أهلـــها الرزقـــا
(تجارة قوم عاجـــزيـــن) سبيـــلهم ... سبيـــل ضلال جانبوا العلم والصدقـــا
وشيخـــهم الأتقـــى الوليُّ بزعمـــه ... إذا مـــا رأى مـــالا أمـــال له عنقـــا
و يضرب في عرض البلاد و طـــولها ... و أطـــرافها حتى يغوص لـــه عمـــقا
و ذلك أقصـــى سؤلـــه ومـــرامـــه ... متـــى نالـــه أولاه مـــن كيسه شقـــا

---

[36]- د/ محمد ناصر، المقالة الصحفية مج 1، ص 133.
[37]- الطيب العقبي(تمنياتي اليوم)، الشهاب، ع 1 س1، 1925/11/12.
[38]- الطيب العقبي، (نحن و الطرقيون)، الشريعة ع6، 21 أوت 1933.

أولئـــك عُبّـــاد الـــدراهم وبلـــــهم   سيمحقـــهم ربي و أموالهم محقـــا[39]

كان هذا في ثورة الشباب وعنفوان الحركة الإصلاحية في الجزائر،لأننا بالقراءة المتأملة الناقدة لآثار العقبي(شعرا و نثرا،مقالة و خطبة) نجد أن الرجل قد تغير في موقفه ولطفت عباراته وأسلوبه في مهاجمة هذه الطريقة أو تلك الزاوية وخاصة بعد سنوات الأربعينات.حيث جاء في الأربعينات في جريدة الإصلاح"أما أرباب الزوايا المرابطون والطرقيون فلهم فكرهم واعتقادهم ولنا فكرنا واعتقادنا،و حرية الاعتقاد والضمير حق مشاع بيننا وبينهم وبين جميع بني البشر وكل العباد.وإذا كانت فكرتنا غير فكرتهم فإننا لا نبني على ذلك أنهم لنا أعداء ونحن الذين لم نعاد اليهود ولا النصارى ولا الذين لا يدينون بدين (الليبربانسور)* بل استطعنا أن نصانعهم ونتصافح معهم وهم على غير ملتنا الإسلامية وشريعتنا المحمدية.فكيف لا يمكننا أن نتسامح ونتساهل مع من ينسب إلى الدين الإسلامي ويقول إن كتابة القرآن وشرعه هو شرع(محمد) صلى الله عليه و سلم؟!لا شك أن هؤلاء إلينا أقرب والتفاهم معهم(متى خلصت النية وانتفى العناد) متيسر،غير متعسر ولا متعذر إن لا يكن هذا التفاهم فكل يعمل على شاكلته و ربنا هو أعلم بمن هو أهدى سبيلا"[40].

يقول الأستاذ أحمد مريوش عن موقف العقبي هذا: "وإذا كان قد اعتبر أن الطرقية هي أحد أشكال الاستعمار فإنه خلال الأربعينات قد غير من نظرته و لم يبق للعقبي نفس اللهجة الحادة التي عرف بها خلال العشرينات والثلاثينات.ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى التعرف العميق للعقبي على التركيب الاجتماعي والديني للجزائريين هذا إلى انتشار صدى الحركة الإصلاحية وتهذيب الأفكار الضالة تقليص أعمال الشعوذة وقد يكون للطابع السياسي الأثر الواضح في أسلوب التعامل لدى العقبي الذي أصبح يبحث عن التكتل المناصر له"[41]بعد أن دخل العقبي حلبة السياسة شيئا فشيئا،وشرع يشارك في القضايا الوطنية ذات الطابع السياسي.

---

[39]- الشهاب ع 119، 27-10-1927.

*- المفكر الحر، كلمة فرنسية منطوقة بالعربية(libre penseur).

[40]- الطيب العقبي، (خطاب رئيس الجمعية الخيرية)، الإصلاح ع 21، 05 أفريل 1940.

[41]- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 450.

فحين تكونت لجنة الإصلاحات التي اقترحتها فرنسا في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكان العقبي أحد أعضائها، فأراد أن يقوي مركزه و شد من عضده وأزره رجال لهم وزنهم على الساحة الوطنية،رغم اختلاف مشاربهم، ومنهم بعض رجال الزوايا والطرق فقال في هذا الصدد:"فطلبت قبل كل شيء حضور كل ذي شخصية بارزة تمثل هيئة في المجتمع الإسلامي الجزائري،لآخذ فكرته ورأيه ورغبت بالخصوص حضور السادة البشير الإبراهيمي،ومصطفى القاسمي وفرحات عباس ومصالي الحاج"[42].

و الراجح في تصوري أن الرجل قد أدرك أن المسألة صعبة والمهمة ثقيلة، والاستعمار لعوب،فكان عليه أن يتكتل مع آخرين غيره،لأن التجربة والتعامل مع الإدارة الفرنسية باءا بالفشل و لم يحققا شيئا ذابال.

وكأني برجل الإصلاح- الطيب العقبي- الذي قضى زهرة شبابه في هذا الميدان أحس من خلال مواقفه هذه بأصابع الاتهام تشير إلى تخليه عن فكرته وبرنامجه الإصلاحي،فكتب يقول:"لازمنا خطتنا التي رسمناها لأنفسنا وارتضينا لها السير عليها طيلة الحياة،و كل أيام العمر وكلها في دائرة الأعمال الدينية والعلمية كما قال الشيخ ابن باديس رحمه الله و لم نحن و لم تضعف لنا عزيمة و لم نخف و لم نجبن في يوم من الأيام،بل كنا والحمد لله نعمل في تلك الدائرة أيام الحرب أكثر مما عملنا أيام السلم.و لم نأل جهدا في خدمة الحركة الإصلاحية وأداء واجبنا و لم نقرر السكوت أيضا"[43].

وأقول شخصيا إذا صح مني التعبير،إن الرجل قد غير تكتيكه في المعركة،و لكنه لم يغير استراتيجيته.فأهدافه باقية على مدار السنوات ينشد تحقيقها بكل طريقة مواتية،لا تضيع عليه المقاصد القصوى لبرنامجه وخطته الإصلاحية.وأهدافه البعيدة المتوخاة منها.

د- محاربة الأئمة الموظفين:

ومن الفئات التي كان للعقبي معها صولات وجولات فئة الأئمة الموظفين لدى الدولة الفرنسية في مساجد القطر الجزائري هؤلاء"رجال الدين الرسميون وهم يمثلون الطبقة التي كونتها

---

[42]- الطيب العقبي، (الاستقلال و الحرية في الدين)، الإصلاح ع 46، 10 أفريل 1947.
و انظر كذلك، الطيب العقبي(خطاب رئيس الجمعية الخيرية)، الإصلاح ع 21، بتاريخ05 أفريل 1940.
[43]- الطيب العقبي، (الإصلاح و التجديد في دائرة الدين)، الإصلاح ع 46، 10 أفريل 1947.

الإدارة الاستعمارية لتنوب عنها في تسيير الشؤون الدينية في الجزائر ولا نبالغ إذا قلنا إنها كانت من أخطر الأدوات الاستعمارية التي مكنته من بسط نفوذه على المؤسسات الدينية"[44]،ومن ثم بسط سيطرته على النفوس لما تقوم به هذه الفئة من التشكيل للرأي وطبع للنفوس بطابع ديني معين يسهل عليه قيادتها فيها والتسليم له بالبقاء والاستمرار في هذا الوطن.

فقد كانت بحق"الوظيفة الدينية:وهي تمثل الطعم الذي اصطاد به الاستعمار بعض ضعفاء النفوس من المسلمين ليحولهم إلى آلات صماء في يده يسخرها حسب أهوائه لتخدم أطماعه و تكون جيشا من المرتزقة يعمل على توهين عرى الإسلام في مناصبه الحساسة كالإمامة والقضاء والإفتاء، و يقف عائقا في طريق مطالبة الأمة بتحرير دينها من الاستعمار و يدفعه إلى ذلك كله الطمع في المرتب والخوف من فقدان الوظيفة"[45].

فكانوا بحق كما رسم لهم الاستعمار فوقفوا في وجه العلماء الإصلاحيين وخاصة بعد تأسيس جمعية العلماء ،ومنعوهم من التدريس في المساجد،وخاصة بعد صدور قرار ميشال في فيفري1933.وذلك"بعد نجاح الجمعية واتساع دائرة أتباعها،وخاصة الشباب منهم، ونشر مدارسها الحرة وذاع صيتها داخلية ودوليا .ووصل صداها إلى البلاد العربية مشرقا ومغربا. وكل ذلك أقلق أصحاب الامتيازات من مرابطين وعائلات أهلية ونواب،وقد قدموا مع بداية سنة 1933 للإدارة الفرنسية تقريرا كافيا يشتكون فيه خطر رجال الإصلاح كما نددوا بأعمال الجمعية"[46].فترتب عن ذلك القرار شغب ومظاهرات وقلاقل هزت العاصمة وضواحيها[47]. ثم اتجهت الجماهير إلى بناء المساجد الحرة والمدارس الأهلية، فتربع على منابرها العلماء الإصلاحيون،و كتب العقبي في هذه الظروف مقالا يعرِّض فيه بالأئمة الموظفين غامزا في تعاطيهم مرتبات على تلك الوظيفة الدينية.فقال:"ما كان الأنبياء يسألون الناس على تبليغ الدين أجرا ولا كانوا يطالبون المتبعين لهم(دون تقديم الزيارة أو الأجرة) بالخدمة لهم والقيام بمصالحهم وما كانوا هم في أنفسهم إلا صالحين(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا

---

[44]- محمد زرمان ، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص 502.

[45]- م س، ص 497-498.

[46]- أحمد مريوش، (جمعية العلماء في الحركة الوطنية) الرؤية ع 02 ماي/جوان 1996 ص 137.

[47]- م س، ص 138.

الإصلاح ما استطعت) لذلك ولما كانوا عليه من الهداية الكاملة والصلاح الذي ما بعده صلاح هداهم الله إلى سبيل السعادة والهداية والسلام"[48].

فظلت العلاقة بين فئة رجال جمعية العلماء وفئة الأئمة الرسميين ـــ أي الموظفين ـــ متوترة متشنجة،إذ كل يدَّعي تمثيله للأمة والناطق باسمها، المعبر عن دينها ومصالحها.

وحين شارك رجال جمعية العلماء في عام 1936 ضمن وفد المؤتمر الإسلامي إلى فرنسا كمعبرين عن مطالب الشعب،أبرق ابن دالي المفتي المالكي إلى باريس يطعن في عدم صلاحيتهم لذلك إذ لا مصداقية لهم عند الشعب ولا حق لهم في كلام في المسائل السياسية[49].

وبعد عودة الوفد ومقتل كحول و تعرض العقبي إلى محاكمة بعد اتهامه بتدبير مقتل المفتي كحول، بدأ العقبي يخفف من لهجته إزاء هذه الفئة من الأئمة الموظفين.

ثم أقبلت الحرب العالمية الثانية بأحداثها الجسام وغطت أهوالها على معظم الأحداث، وانشغل الناس بها وبتتبع أخبارها والحديث عنها في كل حين.

بعد انتهاء الحرب وعودة النشاط السياسي والإصلاحي إلى الانتعاش ثانية،تشكلت " لجنة الإصلاحات" في عام 1947 للنظر في مجمل من القضايا التي تخص شؤون المسلمين في الجزائر من تعليم وقضاء وأوقاف إسلامية ومجلس إسلامي وفتح المساجد في وجه العلماء الإصلاحيين.وقد حدث خلاف كبير بين العقبي الذي لم يعد ضمن رجال جمعية العلماء وتباينت أفكارهم حول هذه القضايا وكيفية النظر إليها[50] كل حسب وجهة نظره.

"و تمسك الشيخ العقبي برأيه هذا فكان له ما أراد من عودة اللجنة الدينية القديمة مع رئيسها السيد محمد بن صيام.وعاد هو إلى المساجد بدروسه الدورية فكان يوزع هذه الدروس بين المسجدين(الجامع الكبير) و(الجامع الجديد) بالعاصمة وقد كوّن لنفسه بهذا الموقف خصوصا

- هود:88.

[48]- الطيب العقبي (الأمة في حاجة إلى الإصلاح)، السنة ع 05، 08 ماي 1933.

[49]- انظر، شارل اندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، ص 138.

[50] انظر، محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائدا لحركة الإصلاح الديني، ص90 و ما بعدها.

جددا من أعضاء اللجنة الدينية برئاسة الأستاذ أحمد بن زكري(رحمه الله) و غيره ممن في السلك الديني آنذاك من المفتين و القضاة و الأئمة"[51].

لكن العقبي صمد،وإن كان قد خفف من لهجته نحو هؤلاء الأئمة، وواصل نشاطه بين"نادي الترقي" والتدريس في المساجد التابعة للسلطة الفرنسية متعللا بأن الفرصة قد أسعفته فلم لا يستغلها في توصيل أفكاره الإصلاحية،و إفادة الناس من أي موقع تسنح فيه الظروف.ولكن الانتقادات اللاذعة لاحقته من هنا و هناك،وطالته ألسنة الدهماء فسلقته بحدها وتجريحها.فما كان عليه إلا الدفاع عن نفسه ومواقفه،مفندا آراءهم وموقفهم منه.فقال "لا أدري متى فهموا هذا الفهم ومتى جاءهم هذا العلم ونزل به عليهم وحي يوحي وكتاب يتلى يحدد ويبين ما دلت عليه آية القرآن الصريحة في وجوب السعي إلى الجمعة... صلى خلفهم اباؤنا الأولون كما صلينا نحن الجماعة والجمعة خلفهم وصلى معنا أبو النهضة العلمية و الإصلاحية رئيس جمعية العلماء الشيخ ابن باديس خلفهم و لم يحكم أحد منا ببطلان صلاة نفسه أو صلاة أحد من الناس"[52].

أن النص السالف يبين موقف العقبي الجديد من الأئمة الموظفين، وتفسير هذا الموقف في تصوري الشخصي هو أن موقفه الأول كان موقفا سياسيا بحتا بمجاراة لزملائه في جمعية العلماء الذين اتخذوا موقفا جماعيا من الأئمة حين منعوهم من التدريس في المساجد.

أما و إن خرج العقبي من زمرة رجال الجمعية،فعاد إلى التدريس والصلاة في هذه المساجد خلف هؤلاء الأئمة.فقد برّر فعله ذاك بأنه سبق وأن صلى هو وغيره ممن سبقه من الآباء والأجداد،وصلّى هو ورئيس جمعية العلماء الشيخ ابن باديس خلف هؤلاء الأئمة،و لم ينكر عليهم قبل اليوم أحد صلاتهم جماعة وجمعة.فما الجديد في الموضوع؟ اللهم إلا مهاترات العامة وشحناء الأتباع الموزعين بين العقبي ورجال الجمعية في سنوات الخمسينات الذين وصلت بينهم الفرقة و المحادة إلى أقصى درجات التوتر و العداء.

وقد سبق لي أن خرّجت موقفه ذاك في دراستي لأدبه في البحث الذي قمت بإعداده لنيل درجة الدكتوراه فقلت:"...ومن جهة أخرى،فإنه لا مانع من الناحية الشرعية الصلاة خلف

---

[51]- م س ، ص 92.

[52]- الطيب العقبي(الاستقلال و الحرية في الدين) الإصلاح ع 49، 17 ماي 1949.

الأئمة الرسميين الذين يتقاضون مرتبات وأجورا على عملهم .والعقبي من المتمسكين بالدين المحكمين الفقه في سلوكاتهم وتصرفاتهم فلم ير ضررا في الصلاة خلفهم ولا أفتى لأحد بترك الصلاة في المساجد جمعة أو جماعة.وموقفه الأول، ربما كان موقفا من وجهة نظر سياسية.فلم يرض على مساندة الأئمة الرسميين للسلطة الفرنسية فيما يخص الأمور الدينية،ولم يرض بتساهلهم في تصرف السلطات الاستعمارية في الأوقاف الدينية.وهذا مجرد تخريج منا قد نكون صائبين أو مخطئين فيه،حتى تتوفر لدينا وثائق أو آثار في المستقبل و يبقي رأينا هذا مجرد اجتهاد فقط"[53].

هذا هو موقف العقبي من رجال الدين والأئمة الموظفين،وهو موقف شبيه بموقفه من رجال الطرق والزوايا كما سبق وأن رأينا قبلا،بدأ بالثورة والهجوم العنيف،و انتهى إلى الهدوء وربما المهادنة لسبب أو لآخر،مازال البحث في هذه المواقف يحتاج إلى وثائق و شهادات صادقة نزيهة وموضوعية حتى يتسنى للمرء الباحث الاستناد عليها،حتى يمكن أن يصدر أحكامه على هذه المواقف سواء بالسلب أم بالإيجاب.فإلى أن تتوفر تلك الوثائق و الشهادات وتسنح تلك الظروف يبقى المجال مفتوحا لنا ولغيرنا ممن يجئ من الباحثين حتى يكمل المشوار،ويرسم الصورة الحقيقية لتفسير هذه المواقف وتلك على ضوء ما يتوصل إليه.

هـ- الدعوة إلى الأخلاق:

تعتبر الأخلاق الفاضلة من أبرز صفات المسلم الصادق لا يتخلى عن التحلي بها في أي موقف أو ظرف كان،لأنها من صميم الدين وخالص التعبد لله سبحانه وتعالى،وبقاء الأخلاق للفرد والجماعة معناه بقاء لكيان هذا الفرد وتلك الجماعة لذلك كله قال شوقي:

و إنما الأمم الأخلاق ما بقيتْ   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

ومن ثم فقد ركز الدعاة والمصلحون على هذا العنصر الفعال في دعواتهم الإصلاحية والخلقية.

و قد كتب العقبي مبكرا في دعوته الإصلاحية مبينا أنه يحب الأخلاق ويتحلى بها لأنه مسلم،والمسلم مطالب بالأخذ بالأخلاق الفاضلة،والتحلي بها،حتى مع الأعداء. يقول:"... أنا لا أعادي العلم والمدنية لا أعادي الأخلاق العالية والفضيلة لا أعادي الآداب والتهذيب،بل أتعشق

*- انظر، أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، القسم 2، ص 961.

53- كمال عجالي، الطيب العقبي أديبا، ص 418-419.

ذلك كله،أكثر من كل أحد (فيما أظن) كما أني لا أعادي أيّ فرد من أفراد أية أمة و أيّ حكومة مادام لا يعاديني هو نفسه ولا يعادي الإنسانية ذلك الإنسان"[54].

لقد كان الطيب العقبي رحب الصدر،يحب المعالي ويعشق الرقي والسمو ويدعو إليهما،ويعامل بالمثل من يعامله دون تزيد أو شطط.وهذه أخلاق إسلامية صميمة يتحلى بها العظماء والزعماء، لأن طبيعتهم تأبي عليهم التردي،والتدني إلى الحضيض أو الإسفاف والتسفل. قال في فضيلة الأخلاق شعرا:

كل الأمور تزول عنك و تنقضي　　إلا الثنــاء فـإنــه لــك بــاق

ولو أني خيـــرت كـــل فضيلـــة　　ما اخترت غير مكارم الأخـــلاق[55]

وكما ينصح العقبي في الأخذ بأسباب الرقيّ والتمدن والحضارة،فإنه لا ينسى الأخذ بالأخلاق الفاضلة لأن مظاهر الحضارة البراقة مغرية وخدّاعة،قد تودي بالمرء إلى الحضيض وإلى الدرك الأسفل من الحياة.فقال منتقدا الحضارة والمدنية المعاصرة رغم حسناتها الكثيرة،ومنافعها، العديدة وخيرها العميم:"نعم نرى في تمدننا اليوم رغم حسناته الكثيرة مساوئ لا يحسن السكوت عليها ولا يسوّغ للمتشبع بالعقلية الإسلامية قبولها والموافقة عليها بحال من الأحوال ذلك لما،فيها من ضرر محقق وفساد للأخلاق تتبرأ منه وتتنـــزه عنه شرائع الأخلاق"[56].

لأن الحضارة و المدنية ليست مناظر براقة وبهرج خداع،وإنما هي سموّ و خلق و تعال إلى مدارج الكمال الإنساني المادي و المعنوي[57].

وكما يهتمّ العقبي بالجوانب الأخلاقية في حياة الفرد والجماعة،فإنّه يشدّد عليها عند الفرد ذلك لأن فقدانها عند الفرد ينعكس سلبا على الجماعة أيضا،ويكون الإنهيار للكيان المتماسك.فقال في هذا الصدد شعرا:

---

[54]- الطيب العقبي (هل أنا عدو لفرنسا)، الشهاب ع 105، 14 جوليت 1927.

[55]- الإصلاح ع 36، 1941/02/07.

[56]- الطيب العقبي (الإسلام و التمدن العصري)، السنة ع1، 1933/04/10.

[57]- انظر ، كمال عجالي" موقف الشيخ الطيب العقبي من الحضارة و المدنية المعاصرة" الرواسي ع12 أكتوبر1995، ص 78 و ما بعدها. وانظر، ابو الأنا المودودي ، مبادئ الإسلام ، ص 166 ــ 167 .وانظر كذلك المودودي ، في نظام الحياة في الإسلام ، ص 19 و ما بعدها

أسفي على الآداب و الأخلاق أسفي على الذوق السليم الراقي
أسفي على بعض الرفاق فإنهم فقــدوا سجيّة كــاملي الأذواق
عهـــدي والرفق من أخلاقهم فـــإذا بهم خلـــق من دون خلاق

ثم يقول معاتبا الرفاق على سوء صنعهم و تخليهم عن الأخلاق الفاضلة و السجايا الحسنة دليل الكمال و السمو:

لا يؤثرون رفيقهم و لـــو اقتضى حـــال الرفاق الرفـــد بالرفـــاق
فتراهم يستـــأثرون و إنْ عَـــدَوْا نهج الهدى ومكـــارم الأخـــلاق

ثم منتقدا الأنانية والأثرة عند الرفاق وهي صفات مذمومة ليست من الأخلاق الإسلامية التي تأمر الفرد بالإيثار وحبّ الغير وتفضيلهم على النفس فقول:

حسبوا الزعامة في الظهور و مادروا أن الظهـــور وسيلـــة الإخفاق
ما ســـاد من لم يحتفـــظ لرفيقـــه بحقـــوقـــه و بعهـــد ود بـــاق
كلاّ و لا نـــال الزعامـــة غير من ضحى بصالح نفســـه لرفـــاق[58]

إنها سجايا وصفات من الأخلاق الإسلامية الفاضلة لا تتصفها إلا أصحاب النفوس الكبيرة التي تتعشق المعالي وتطمح إلى الخلود ونادرا ما تتحقق إلا للعظماء الذين يستصغرون السفاسف ويتحاشون الدون من الأفعال والصفات.

وكما يذمّ الأخلاق الرديئة والطباع الناقصة،فإنه يذم النفاق وازدواج الشخصية والتقلّب مع الظروف والأحوال.و إنما يدعوا إلى الثبات والتمسك بالصالح من السجايا الكريمة التي أمر بها الإسلام فيقول:

لم أكـــن علم الإله قديمـــا لا ولا في الحديث خذن نفاق
بل أنا مسلم نشأت بأرض هي خير البلاد على الإطلاق[59]

تلك هي دعوة العقبي إلى الأخلاق والفضيلة التي دعا إلى التمسك بها الفرد والجماعة،وبيّن محاسنها وآثارها التي تحفظ كيان الأمة،وتساعد على استمرارها في الحياة ما

[58]- البصائر، ع 60، 1937/03/26.
[59]- الشهاب ع 9، 1926/01/07.

حتفظت بعنصر الأخلاق كصمّام أمان من الانزلاق،والتزحزح إلى مهاوي الرذيلة التي يعقبها السقوط والاندحار.

لقد دعا العقبي الأمة إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الفاضلة،في ظرف حضاري صعب،وعصيب،كانت تمر به الجزائر التي كبلها الاستعمار بشتى القيود وسيّجها بالنار والحديد،وينشر فيها الأمراض الفتاكة حتى تكون لقمة سائغة يسهل التهامها،فخيب الله ظنه وبدّد أهدافه،بفضل جهود رجال الإصلاح الذين فوّتوا عليه الفرصة فحفظوا للأمة كيانها وشخصيتها وعقيدتها وهويتها.وصدق فيهم قول القائل:"كان العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام من سباته"[60]، فكان التحدي وكانت الثورة ثم بعدها الاستقلال في 5 يوليو 1962م.

و- محاربة الآفات الاجتماعية:

لقد كان مجال الإصلاح واسعا،ينتظر من رجاله خوض معارك عديدة وعلى وجهات مختلفة،ذلك لأن التصدع قد أصاب المجتمع في مناح كثيرة من جوانب الحياة، الدينية والاجتماعية والثقافية والصحية وغيرها.

رأى الطيب العقبي أن شروخا كثيرة أصابت المجتمع تحتاج إلى الإصلاح،و من جملة هذه الشروحات ما لحق المجتمع من آفات وأمراض اجتماعية.فكتب يقول عن شارب الخمر و ما ينجم عن شربه ذاك من أمراض تمس الشارب نفسه:

شرّ الوري من عاش طول حياته   في الخمر منهمكا و في لذاتـــه
لا يرعوى عن غيـــه و ضـــلاله   وإذا انتشى فإلى الشقـــاء بذاته

ثم ما يترتب عن ذلك من آثار سلبية على الأسرة ـــ زوجا و أطفالا ـــ:

أشقى ذويـــه و والديه وزوجه   وبنوه قد تعبوا وكـــل بناته
قد ضيع الدنيا و أذهب عقلـــه   والدين أصبح من كبار عداته
إن عاش فهو إلى الضلالة سائر   أو مات كيف يكون بعد مماته

60- شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية، ص 133

و يا ليت تلك الآثار تتوقف عند هذا الحد، بل تتعدى إلى الجيران و منهم إلى دوائر أوسع في المجتمع.فقال:

يسطو على جيرانه في سكره   و إذا صحـــا لم يأمنوا عثراته

وكفاه من خزي مقاله قائـــل   لا تصحب السكران في حالاته[61]

كما تفشى في المجتمع التدين الكاذب والتظاهر بالتقوى،مع تعاطي أشياء لا علاقة بالدين بل تتنافى مع عباداته.فالجمع بين تسبيح الله سبحانه والتدخين في الوقت نفسه شيء غير معقول على الإطلاق فشتان بين هذا و ذاك.فقال:

جعلوا المسابـــح في الأصابـــع آلة   للصيد و الدخـــان في الأفواه

يا ساء ما اعتقدوا و ساء صنيعهم   خانوا العباد و حكم شرع الله[62]

وقد انتشرت ظاهرة جديدة على المجتمع الجزائري،متمثلة في التبرج والسفور،وقد سرت هذه الظاهرة من الأسر الأوروبية إلى بعض الأسر الجزائرية.فقال في شيء من الاستنكار:

حيثما تلتفت تجد قمرا يـــز   هو و شمسا بديعة الإشراق

وجميلا تلا جميلا و معشـــو   قاغدا في جماعة العشـــاق

هكذا الجزائر كلـــها فانظر   فاتنات و فاتن في الزقـــاق[63]

إن ما نلاحظ في ختام هذه المجالات التي عالجها الطيب العقبي وحاول إصلاحها هو أن هذه المجالات متداخلة منها ما هو من صميم العقيدة ومنها ما هو من العبادات ومنها ما هو من السلوكات اليومية.وكلها في حقيقة الأمر متداخلة لأنها من الإنسان وتصدر عن الإنسان ولا يمكن تجزئة الفرد إلى أجزاء،لأنه كلٌّ متكامل،وأعماله متداخلة لا يكاد ينفصل أحدها عن الآخر.و المصلح الإسلامي يرى أنها مجالات تمثل وحدة واحدة يجب معالجتها جملة وتفصيلا.

---

[61]- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج1، ص 144-145.

[62]- الإصلاح ع 12، 1930/02/06.

[63]- البرق ع 1، 7 مارس 1930.

الفصل الرابع

الإصلاح في المجال الاجتماعي

أ ــ الصحافة.
ب ــ التعليم.
ج ــ تعليم الفتاة.
د ــ تعليم الفرنسية.
هــ ــ تعليم الحرف واكتساب المهارات المهنية.

كانت نظرة الطيب العقبي في مجال الإصلاح الاجتماعي عميقة وبعيدة الأهداف.فقد كان يرمي إلى آفاق بعيدة قصد أولا إلى بناء الفرد والمجتمع بناء داخليا متينا بتطهير العقيدة والعبادات والسلوكات والأخلاق.حيث كان في برنامجه الإصلاحي"يعالج أوضاع ذلك المجتمع معالجة مع البحث في عمقه،ولم يكتف العقبي بتصحيح الصلاة وبيان نواقض الوضوء،بل استهدف تكوين مجتمع جزائري أصيل"[1].

وأصبح الإصلاح والتجديد لا يقتصر على الجوانب الدينية فقط بل تعداه إلى جوانب ومجالات مختلفة.فالإصلاح قد"أصبح ذا وظيفة اجتماعية صريحة اتخذت أحيانا شكل الوظيفة السياسية الخالصة أيضا"[2].

والعلماء الإصلاحيون أنفسهم كانوا ينشدون تطوير المسلمين،والإفادة من كل ما يمكن أن يفيد حياة المجتمعات الإسلامية،لأن الإسلام دين تطور[3] لا يقف أمام ما ينفع المسلمين،ما لم يتعارض مع صريح العقائد أو يعطل الشعائر.

ومن ابرز الأهداف في برنامج الإصلاحيين المعاصرين"هدف تتوق إليه أفئدتهم هو إعادة مجد الإسلام،إما بالتزود من تراث الدين المعروف بقوته الخلاقة وبخصبه الثقافي أو عن تقدم اجتماعي ومادي يستعير من الغرب (أحسن ما عنده) من تقنيات ثقافية"[4].

جسد العقبي هذه الأفكار والمبادئ الإصلاحية في أعمال يومية،فكان من جملة ما اعتمد عليه من وسائل في إصلاحه في المجال الديني و الاجتماعي، وسيلة الصحافة ودعا إلى الإفادة منها ورد على المتزمتين الذين وقفوا ضد الصحافة و قراءتها أو الكتابة فيها.

أ– الصحافة:

اعتبر العقبي وسيلة الصحافة إحدى الوسائل المهمة في الإصلاح،فبارك كل جريدة تعمل في صالح الحركة الإصلاحية،مثل المنتقد والشهاب والبرق وصدى الصحراء،وكتب فيها

---

[1]- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 72.

[2]- د/ فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ص 544.

[3]- انظر، د/محمد البهي، الفكر الإسلامي و المجتمع المعاصر، ص 449 و ما بعدها و كذلك د/ محمد البهي، الدين و الحضارة الإنسانية ص113 و ما بعدها.

[4]- د/ علي مراد، الإسلام المعاصر، ص 34.

شخصيا،ثم أسس لنفسه جريدة الإصلاح.و بيّن ما لهذه الوسيلة من فوائد جمة تعود على الفرد والمجتمع.و تشجع المحسنين على التبرع لها بالمال و بكل ما يدعمها.

قال في قصيدته" رد التحية فرض":

تلك الصحافة لو تندى الأكف لها   لا شيء عنها مدى الأيام يسلينا

مرحى لها ولمن قامـــوا بواجبهـــا   يدعوننا علنا للحـــق مصغينـــا

أخزى الإله أناسا لا خلاق لهـــم   زعـــانفا بخسيس العيش يرضونا

قـــد حرموها و لم يدروا لحرمتها   حقا لجهلهم و كيـــف يدرونـــا؟[5]

كما بيّن العقبي ما للصحافة من أدوار مختلفة في تكوين الفرد والجماعة،وتشكيل للرأي العام، بيّن ما يجب أن تكون عليه من وطنية وإيثار للمصلحة العامة،وخدمة المجتمع والرقي به نحو الكمال المنشود،وحذّر الصحافة ورجالها أن تخوض فيما لا طائل منه ولا يعود على المجتمع بالخير العميم.فقال ما نصه"...و أن يكون همّها السير في طريق الإصلاح لا العمل على كسب الدراهم واجتلاب الفلس بأي طريق كانت والتكالب على ذلك ولو أساء إلى سمعتها ودنّس بين الناس عرض القائم بها فإن هناك جرائد في كل لغة وعند كل أمة يصحّ أن نعبر عنها بأنها كشكول شحاذ يجمع اللقمة أو اللقمتين من كل أحد يقف متسولا بها على باب كل أحد،فنراها لهذه الغاية تسارع في نشر أسماء كل من ولد أو مات أو نكح أو توظف أو حل أو ارتحل أو،أو كيف ما كان وفي أي مكان وجد"[6].

لقد كان العقبي صاحب مبدإ،وصاحب أهداف بعيدة،يتميز بالجد،بعيد عن اللهو.لذلك كان يرى أن الصحافة يجب أن تكون في خدمة الأهداف الجدية، بعيدة عن المهاترات والسفاسف،التي تطالع القراء في بعض الجرائد هنا وهناك.يريد من الصحافة أن تكون وسيلة التطور والتطوير والرقيّ بالمجتمع في المجالات المختلفة.فحدد ذلك الدور الخطير في صراحة تامة فقال:"فإن الجرائد في الأعصر الأخيرة هي مبدأ نهضة الشعوب والعالم القوي في رقيها والحبل المتين في اتصال أفرادها والسبب الأول في تقدمها.والصحافة هي المدرس السيار والواعظ البليغ وهي الخطيب المصقع والنذيرلذوي الكسل والبطالة والبصير لرائد الانتجاع وطالب

---

[5]– محمد الهادي السنوسي شعراء الجزائر ج1، ص 135.

[6]– الطيب العقبي (جريدة المنتقد في نظر الكتاب)، المنتقد 5، 30جوليت0925.

الانتفاع وهي سلاح الضعيف ضد القوي ونصرة من لا ناصر له.والصحافة إذا ما قامت بواجبها هي التي تأخذ الحق وتعطيه وترمي الغرض ولا تخطي،وهي المحامي القدير عن كل قضية حق وعدل والحكم الذي يقدسه ذوو النفوس الشريفة وتقاد إليه،ولا تقدر قدرها إلا الأمم التي لها حظ وافر من هذه الحياة وضربت بسهم مع الساعين لرقيهم في أعلى الدرجات..."[7].

فالنص على طوله يكشف بصدق مدى وعي الرجل لهذه الوسيلة من أدوار وآثار.لا يريد لها أن تكون معول هدم أو وسيلة إثراء،ولو على حساب المواطنين الذين هم في أمسّ الحاجة إلى الإعانة المادية والمعنوية.فردّ ذات مرة على بعض منتقديه قائلا:"فقلت لهم:إنني سأكتب كل ما وجدت الفرصة في كل جريدة عربية تلائم ذوقي تتفق مع مشربي مادام يمكنني وأنا بهذه البلاد أن أخدم وطني لكن شرط أن لا يكون الغرض الوحيد من تأسيس تلك الجريدة الاتجار بها وجعلها مهنة تمعش لأربابها لأني لا أحب أن أعمل لتنمية أرباح الغير على حساب الأمة"[8]

و أما عن الصحفي، وما يناط به من مسؤولية عظيمة وما ينتظره من أعمال جبارة نحو شعبه وأمته،لما له من دور خطير في بناء المجتمع و رقيّه ـــ مهنة كانت و مازالت كذلك ـــ فالصحفي ليس بالفرد العادي ولا بالشخص البسيط،بل أكثر من ذلك بكثير، حيث هو في نظر العقبي:" عالم سياسي بصير بالأمور له معرفة تامة ووقوف على ماضي التاريخ وحاضره ذو نظر سديد،وفكر ثاقب يريه ذكاؤه وما اتصف به من الحذق وتوقد الفطنة المستقبل فيبصره من وراء حجاب حتى لا تكاد تخطئ له فراسة إذا نظر ولا يضيع له حدس و تخمين إذا تكهن أو كتب"[9].

و مهنة الصحافي ليست مكانا للشهرة والظهور،أو جعلها منبرا للأهواء الشخصية والأغراض الذاتية والخضوض النفسية، بل هي أبعد من ذلك بكثير،فزيادة على كون صحفي رجل سياسة وعلم ودارية بخلفيات الأمور والأحداث:"يلزمه زيادة على ذلك اتصافه بالجسارة

7- م س.

8- الطيب العقبي، (يقولون و أقول)، الشهاب ع 09، 7جانفي 1926.

9- الطيب العقبي (الصحافة و من هم رجالها)، البرق ع 2، 14 مارس 1927.

والجدة الأدبية ولا بدّ له من مخاطرة والإقدام على تضحيات كثيرة ومع هذا كله إذا لم يكن رائده الإخلاص في العمل وسلامة الطوية وصحة الغرض هي تحدو به إلى هذا الميدان فلا فائدة من وجوده"[10].

ومهما تكن نظرة العقبي لمثل هذه الوسيلة الهامة التي أصبحت تعرف الآن ـــ بالسلطة الرابعة ـــ نحو مهمتها ووظيفتها ودورها في تقدم المجتمعات والإصلاح من شؤونها المختلفة،دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية ثقافية.يمكن أن نقول كما ذهب الأستاذ أحمد بن السائح في وصف العقبي وصحافته ودورها في الحركة الإصلاحية:"و لعلّ أكبر ميزة في حياة العقبي الإصلاحية هي بعث الروح الوعي الإصلاحيين من جديد واستطاع أن يثب بواسطة صحافة الإصلاح في الجزائر وثبة قوية"[11] كان لها الصدى الفعال في يقظة المجتمع وتطوره نحو الأفضل،بأشواط بعيدة عما كان يتخبط فيه من تخلف وجهل وفقر وجمود.

ب- التعليم:

مثلما دعا العقبي إلى الإفادة من الصحافة في الإصلاح الاجتماعي،دعا كذلك إلى التعليم وبيّن مخاطر الجهل وافتقاد المعرفة،وما ينجرّ على ذلك من تأخر في المجتمع .جاء في مقاله الافتتاحي بجريدة الإصلاح:"هذا ومن الضروري في نظرنا لإصلاح الشعب الجزائري إحياء لغته وآدابه العربية وتربيته تربية أخلاقية إسلامية عصرية حتى يتم له نظامه الإسلامي وتكمل له الحياة التي جاء القرآن بها"[12].

وفي قصيدة (رد التحية فرض) خاطب محمد سعيد الزاهري،ومن خلاله الشعب الجزائري عامة، فدعاه إلى أخذ المعارف واكتساب العلم فقال:

حي الجزائـــر مادامـــت تحيينـــا و امحض بشعب قضى في جهلـــه حينـــا
و اعمل بخير بلاد طـــالما هضمت حقوقهـــا و اتخـــذ مـــن حبـــها دينـــا
و سر حثيثا على تلك الطريق إلى حيث المعارف حيـــث العلـــم يهدينـــا[13]

---

[10]- م س.

[11]- احمد بن السائح، الطيب العقبي المصلح الثائر، العقيدة ع98، 15جوليت1992.

[12]- الطيب العقبي، (الديباجة)، الإصلاح ع 15، 1939/12/28.

[13]- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج1، ص 130.

لقد"كانت دعوة العقبي إلى حركة التجديد واليقظة الجزائرية مبنية على تطليق روح الانهزامية وترك الإتكالية والكسلية والأخذ بالجدية لاستعادة الذات وكلُّ ذلك لا يأتي إلا بالمعرفة و العلم الصحيح المشبع بالعقيدة الإسلامية الداعية إلى النهضة والرقي كما اشترط العقبي كذلك حافز التحدي ضد الوجود الفرنسي ومزاحمة الغير"[14].فقال العقبي محفزا على طلب العلم وداعيا إلى بعث روح النهضة في الأمة :

تعلمـــوا العلم و امشوا في مناكبها . و جانبوا كسلا أودى بماضينا
وزاحموا الغرب في الدنيـــا و لذتّها وجـــددوا عصر عزٍّ في تعالينا
ما كـــان قط حراما في شريعتنـــا سيـــرٌ بأوطاننا فيمـــا يسرقينا
هذي بلادكـــم ترنوا لنهضتكـــم و كنـــز ثروتكم مازال مدفونا.[15]

ثم يعقد العقبي مقارنة بين ما وصل إليه الغرب من معرفة وعلم وتقدّم،والحال التي هي عليها الدول العربية الإسلامية،و منها الجزائر يبيّن أن سرّ ذلك كله راجع إلى طلب العلم والمعرفة،وكيف وظفهما الغرب في ارتياد مجاهيل الكون،بينما نحن في سبات عميق من الجهل والتأخر والجمود. مع أن ماضي أجدادنا كان زاهرا بالعلوم المعارف،يقول:

النـــاس فـــي ضوء النهـــا ر وهم عكـــوف في ســـواد
طـــاروا بآلات الصعـــو د وطـــاردوا الطير الصعـــاد
تسابقـــوا بـــبخـــارهـــم فتقـــدَّمـــوا خيـــل الطراد!!
السعـــي صيّـــرهم كمـــا أبصـــرت ســـادات العبـــاد
العلـــم كـــان دليـــلـــهم سعيـــا و ضربا فـــي البلاد .
العلـــم ملـــكـــهم نـــوا صينا فلجـــوا فـــي عنـــاد[16]

وكما طلب العقبي و دعا إلى نشر التعليم وإشاعة المعرفة في جماهير الشعب،فقد نبّه إلى تكوين نخبة متعلمة يكون لها دور قيادة الشعب والتفكير في كل ما يهم شعبها من شؤون عامة،والإدلاء بآرائهم في كل القضايا والمسائل التي تتعلق بمصير الأمة.فقال" فهلم أيها الشباب

---

[14]- أحمد مريوش (البعد الوطني في شعر الطيب العقبي خلال منتصف العشرينات)، المنقذ ع7، 1991/12/29.
[15]- السنوسي، شعراء الجزائر ج1، ص 134. و انظر كذلك، الإصلاح ع3، 1929/09/12.
[16]- الإصلاح ع3، 1929/09/12.

الناهض،والمفكرون العاملون لمصلحة البلاد هَلمَّ إلى مجمع الأفكار وملتقى البحار هلم إلى منبر عام،تعالوا بنا نتعاون،تطارحوا الأفكار وانشروا للأمة مواهبكم العالية،قاوموا الجهل والبدع وانشروا العلم والحكمة، جندوا فكرة المنصفين وأعمال المصلحين وانتقدوا خرافات الأفّاكين وضلالات المبطلين لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا"[17].

كان العقبي كلما سنحت له الفرصة إلا واغتنمها لخدمة أهدافه الإصلاحية فـ"من إسهامات العقبي أيضا في حركة الإصلاح الاجتماعي ودعمه للإصلاح القولي والعملي رئاسته للجمعية الخيرية باعتبارها مؤسسة اجتماعية أوكلت لها نشاطات خيرية لخدمة المعوزين من الجزائريين..."[18].

اهتم العقبي بالجانب التعليمي لما له من جوانب إيجابية في حياة الشعب، إذ هو الذي يذهب عن الأمة أمراضا كثيرة ،منها الجهل والفقر والجمود،ويبعث فيها الحياة والنشاط والوعي واليقظة.فالعقبي كان من الجيل الأول من الإصلاحيين الذي"وجّه جل اهتمامه إلى الحقل الاجتماعي ويرى أن مهمته تنحصر في إحداث تغيير على مستوى العقليات والأخلاق والنظام التعليمي بغية تطويع الهياكل الاجتماعية الثقافية في العالم الإسلامي لتلبي متطلبات العصر"[19].

ولم تقتصر دعوة العقبي إلى التعليم على الذكور فقط،بل كان هو من أوائل الداعين إلى تعليم الفتاة.وهي دعوة جريئة، وفكرة جدّ ثورية إذا ما قيست بالأفكار التي كانت سائدة آنئذ.

ج- تعليم الفتاة:

كانت دعوة العقبي إلى تعليم الفتاة في الجزائر مبكرة وجريئة في الظروف والسنوات التي جاءت فيها،إذ كانت هذه الفكرة جديدة على المجتمع الجزائري،الذي انقطعت صلته بمثل هذه الأفكار.كل ذلك بسبب العادات والتقاليد التي رانت على البلاد العربية والإسلامية.فكان كل من يخرج عما شاع من التقاليد وانتشر في العادات يعتبر مارقا وآتيا بالمنكر من القول.فصدع العقبي بالقول،و انتقد الآباء عن عدم تعليم الفتاة،و بيّن أن ذلك يعود على الأسرة بالوبال.فقال: " يقولون(عندما أقول لهم علموا بناتكم و أدبوهن على حسب ما تقتضيه الشريعة

17- الطيب العقبي (جريدة المنتقد في نظر الكتاب)، المنتقد ع5، 1925/07/30.

18- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية ص 351.

19- د/ علي مراد، الإسلام المعاصر، ص 34.

الإسلامية حتى يتمكن لأزواجهن أن يعيشوا معهن عيشة راضية ويحيوا جميعا حياة طيبة)إن بقاءهن على هذه الحالة خير لنا و لهن و أنا أقول لهم و اعتقد صحة ما أقول:

ما حياة المرء مع زوج له ليست أديبة

غير سجن أبـــدي عظمت فيه المصيبة"[20] .

فالناظر إلى فكر العقبي الإصلاحي،يجد أن صاحبه كان صاحب نظرة ثاقبة ورؤية شمولية تمس قطاعات واسعة وعديدة ،وفي جوانب كثيرة من جوانب الحياة ،لا تقتصر على الجوانب الدينية؛مثلا.فقد كتب العقبي مبينا تصوره ذاك في قوله:"فإن الأمة في حاجة ضرورية إلى الإصلاح لا من ناحية الدين فقط بل من مناحي شتى وجهات عديدة"[21].ومن جملة هذه المناحي في المجتمع الأسرة.تلك الخلية التي تعد ركيزة أساسية في بناء المجتمع،والحفاظ على بقائه وكيانه.فلا يعقل أن تكون هذه الركيزة مضطربة الأركان مهزوزة الأسس ـــ الزوج والزوجة ـــ حيث" تعد الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تسهم بشكل فعال في بناء الإنسان في مختلف جوانب شخصيته العقدية والاجتماعية والنفسية والخلقية،بوصفها الخلية الجوهرية في بناء المجتمع ففيها تتجسد الوظائف الحيوية التي تقدمها للمجتمع من خلال قيامها برعاية الفرد على تلبية ما يحتاج إليه من خدمات وعناية وإشراف،وهذا يعني أن مساهمة الأسرة في عملية البناء الحضاري مساهمة لها دورها الخطير"[22].ولا تتحقق هذه الوظيفة للأسرة إذا ما كان أحد ركنيها الأساسين جاهلا،عديم التعليم والثقافة و لمعرفة،ولا تحقق أهدافها لركنيها من استقرار وسكينة وهناء ومودّة ولا بالنسبة لما ينجبانه من أولاد، أنجالا وحفدة.

د- تعلم الفرنسية:

لم يكن الطيب العقبي بالرجل المتزمت ولا بالمنغلق على نفسه،بل كان رجلا منفتحا على ما حوله من تطور وتقدّم وتجديد،متفاعلا مع الأحداث ومستجدات الحياة.فأدرك الرجل أن الانغلاق على الذات أمر سلبي، لا يعود على الجزائريين بالفائدة،و بيّن أن الجهل باللغات

20- الطيب العقبي، (يقولون و أقول)، الشهاب ع17، 4 مارس 1926.

21- الطيب العقبي، (الأمة في حاجة إلى الإصلاح)، الإصلاح ،ع43 ، 4 سبتمبر1941.

22- محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص 521..

و انظر كذلك المودودي ، مبادئ الإسلام ، ص 158 و ما بعدها.

الأجنبية ومنها الفرنسية ــ خاصة ــ لا يخدم الشعب الجزائري.بل جهلهم ذاك كان سببا في ضياع كثير من الحقوق.جاء في مقال له:"يستحق العرب هذا وأكثر من هذا بجهلهم اللغة الفرنسية وعدم حرصهم على تعلمها وماداموا مهملين لتعليم أبنائهم فكأنهم يرون كل يوم إهانة جديدة وغلطة فادحة ربما ذهبت بهم إلى الهاوية"[23] ،لأنهم لا يعرفون ما يدور حولهم ولا يفهمون لغة المستعمر،ولا يدركون ما يديره لهم.ولو كانوا يحسنون اللغة الفرنسية لما غاب عليهم ما يتكلم به الفرنسيون، ولا ما يكتبونه حول الجزائريين.

ويقول في جريدة الإصلاح داعيا إلى الفكرة نفسها:"إذا ما كان من واجبنا الديني المحتم علينا تعلم اللغة العربية لغة القرآن وآداب الإسلام وتعاليمه السامية، فإن من مصلحتنا وفائدتنا الدنيوية أيضا أن نتعلم لغة دولة البلاد وحكومتها السياسية إذ بها لا بغيرها نستطيع أن نعبر للحكومة عن مطالبنا ومقاصدنا وبها نتمكن من المفاهمة معها في نيل حقوقنا"[24].

فهو لم يكن ضد تعلم اللغة الفرنسية هي ولا غيرها،مادامت هذه اللغة أو تلك تخدم الأمة وتكون وسيلة في جلب المنفعة ودفع المضرة أو المفسدة.ولا يرى ذلك عيبا في العرف ولا حراما في الشرع.إذ كل شيء يخدم الأمة ويعزز مكانتها ويكون طريقا لنيل حقوقها، فهو خير وفائدة.بل واجب تعلمه واكتسابه لقوة المسلمين،وتقدّمهم في سلّم الحضارة ورقيهم في درجات التمدن.قال عن كل تلك الأفكار شعرا:

ما كان قط حراما في شريعتنـــا   سيـــرٌ بأوطاننا فيمـــا يرقينـــا
هذي بلادكم ترنوا لنهضتكـــم   وكنـــز ثروتكم مازال مدفونا[25]

فالرجل يرى أن كل وسيلة نافعة،صالحة لخدمة الأمة ليس حراما تعلمها ــ ما لم تتصادم مع العقيدة ــ فتعلّم اللغات وطلب العلم والمعرفة على اختلاف مشاربها ومنازعها شيء مفيد، يزيد في رصيد الأمة. قال:

هبـــوا بني وطني من نوم غفلتكـــم   حَلَّ المصاب و خطب الدهر يرمينا
تعلموا العلم و امشوا في مناكبهـــا   وجـــانبوا كســـلا أودى بماضينـــا

---

[23]- الطيب العقبي، (قضية جريدة المنتقد) المنتقد 13، 1925/09/24.
[24]- الطيب العقبي(خطاب رئيس الجمعية الخيرية)، الإصلاح ع 21، 1940/04/05.
[25]- السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص137.

وزاحموا الغرب في الدنيا و لذّتــها   وجددوا عصـرا عـز في تعالينـا[26]

وقال أيضا عن الغرب و تقدمه بسبب أخذه العلوم والمعارف، بينما الشرق يئن تحت نير الاستعمار والتخلف:

النـاس فـي ضوء النهـا   ر وهم عكـوف في سـواد
طـاروا بآلات الصعـو   د وطـاردوا الطير الصعـاد
تسابقـوا ببخـارهـم   فتقـدّمـوا خيـل الطراد!!
السعـي صيّـرهم كمـا   أبصـرت سـادات العبـاد
العلـم كـان دليـلهم   سعيـا و ضربا فـي البلاد
العـلـم ملـكـهم نـوا   صينـا فلجـوا فـي عنـاد[27].

فتعلّم اللغات وطلب العلم والمعرفة وارتياد الآفاق مجلبة للفائدة والتقدم الحضاري،لا ينكر فضلها إلا جاهل غشيم " يقول الدكتور عبد الحليم محمود:إن المسلمين بتخلفهم هذا في العلم بسنن الله الكونية،إنما ينحرفون عن الخط الإسلامي الصريح،وينحرفون عن خدمة الوطن، فهم بهذا التخلف آثمون دينيا و آثمون وطنيا"[28].

لهذا وجب على المسلمين الأخذ بكل ما يخدمهم ويساعد على تقدمهم،سواء كانت معارف معنوية أو مادية.وقد دعا العقبي إلى مثل هذا في محاضراته وخطبه ومقالاته.ومن جملة ما دعا إليه الإفادة من المهن، تعلّم الحرف اليدوية التي تمكن الأفراد من الحصول على القوت والخبرة،و تحسين المستوى الاجتماعي،والاقتصادي للأسر الجزائرية،التي يعمل الاستعمار على إفقارها وتجهيلها حتى تبقى لقمة سائغة يسهل التهامها.

هـ- تعلّم الحرف و اكتساب المهارات المهنية:

اهتم رجال الإصلاح في الجزائر بالدعوة إلى طلب العلم والمعرفة النظرية وسلّطوا نظرتهم إلى الواقع المزري،الذي كان يتخبط فيه الشعب الجزائري،وأعادوا الحديث عن الماضي

26- م س، ص 136.

27- الإصلاح ع3، 1929/09/12.

28- محمد عبد المنعم خفاجي، خلود الإسلام، ص 136.و انظر، كذلك عبد الحميد بن باديس، تفسير بن باديس، ص66.

المجيد الذي كانت فيه الحضارة مزدهرة في هذه الربوع الغالية."و الحديث عن الحاضر يرتبط بالحديث عن الماضي،عن علم الأولين وثقافتهم التي نسيها أبناء الحاضر وابتعدوا عنها وتنكروا لها، ويكون الحديث عن العلم حديثا عن القوة وكثيرا ما يختلط هذا بما وصل إليه الغرب من تقدم ورقي"[29].

ولا يتم ذلك للمسلمين،إلا بأخذ الأسباب واتباع السنن الكونية من تعلم وتحصيل للمعرفة واكتساب للمهن والحرف والمهارات قال الشيخ عبد الحميد بن باديس مقارنا بين الذين أخذوا بالأسباب الموصلة إلى التقدم والازدهار وبين الذين اتكلوا على مجرد الإيمان بالعقائد وكفى،قال:" فلا يفوتن المسلمين بعد علم هذا ما يرونه من حالهم وحال من لا يدين دينهم، فإنه لا لم يكن تأخرهم لإيمانهم بل بترك الأخذ بالأسباب الذي هو من ضعف إيمانهم.و م يتقدم غيرهم بعدم إيمانهم بل بأخذهم بأسباب التقدم في الحياة"[30].

وقال العقبي معرّضا بالمسلمين الذين تركوا الأخذ بالأسباب،وكيف تغلّب عليهم الغرب تقدم عليهم أشواطا بعيدة بل تحكّم فيهم أيما تحكم:

ذهبوا بلـــذات الحيـــاة جميعهـــا و المسلمون بكـــل خزي باءوا
حازوا الفضائل و المحاسن كلهـــا و تحكموا فينـــا كمـــا شاءوا[31]

كما كان العقبي يجتهد في مناصرة كل ما كان يراه صالحا للعرب المسلمين،يرفع من مستواهم المعيشي والمعرفي،ويكسبهم معارف وخبرات في الحياة.فحين أنشئت الجمعية الخيرية في الجزائر العاصمة كان من ضمن ما كانت تقدمه لبعض الشبان والشابات تعليم بعض الحرف والمهارات منها "...فن الخياطة والتشبيك وتدبير المنزل ومبادئ القراءة والكتابة على الطريقة العصرية باللغة العربية والفرنسية فيما يسمونه (ارتيزانة) و(إيكول ميناجير)..."[32].

---

[29]- د/ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 576.

[30]- عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس، ص 67 .

و انظر ، كذلك ، ألبرت حوراني،الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939،ص 161.

[31]- البرق ع17، 1927/07/04.

[32]- الإصلاح ع21، 1940/04/05.

* و هي نظرة قاسم أمين أيضا. انظر البرت الحوراني الفكر العربي في عصر النهضة ص203 .

فالرجل كان يرى أن تعلم المهارات وإتقان الحرف ،ضمان للمرء وسلاح لكسب عيشه وتحقيق حاجته.يتعلم المرء الحرفة ويتقن المهارة ولا شك أنه سيحتاج إليها في يوم من الأيام.وهي نظرة ثاقبة و حدّ صائبة.فالمرء المسلم مسؤول على تعلم علوم دينه وتعلم علوم دنياه،ولا غنى له بواحد عن الآخر.و هذا دليل قاطع على عمق التفكير الإصلاحي عند الشيخ الطيب العقبي،الذي بذل جهدا كبيرا في العودة إلى الأصول و التشبث بها دون الاستغناء عن مقتضيات التطور ومتطلبات الحياة "وهذه العودة إلى الأصول،لا تعني أبدا الانغلاق والتقوقع في شرنقة التراث،والهروب إلى الماضي السعيد،والتغني بأمجاده، والاستئناس بالموتى ــ كما يتبادر إلى أذهان بعض الناس ــ بل هي دعوة صريحة إلى استشراف مستقبل زاهر،و غد أفضل من خلال الارتكاز على الثوابت الحضارية والانفتاح الواعي على الخبرة الإنسانية والكسب العامي،والاستفادة منها وفق ما تقتضيه ضوابط الكتاب والسنة،واقتباس كل ما لا يتعارض مع الخصوصية الحضارية للأمة الجزائرية استجابة لقول الرسول صلى الله عليه و سلّم:" الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"[33]

وهذا العمل من أحد رجال الإصلاح البارزين، المشبعين بالفكر الإسلامي إلى حدّ النخاع،يعطينا صورة صادقة وواضحة على أن"مهمة الإسلام دائما أن يدفع بالحياة إلى التجدد والتطور والرقي،و أن يدفع بالطاقات البشرية إلى الإنشاء الانطلاق والارتفاع"[34].

---

[33]- د/ محمد زرمان، ملامح الخطاب النهضوي في فكر الطيب العقبي، الصراط مجلة كلية أصول الدين، للبحوث و الدراسات الإسلامية، س1، العدد 2 ذو الحجة 1420هـ/مارس 2000، ص 217-218.

[34]- سيد قطب، في التاريخ فكرة و منهاج، ص 16.

الفصل الخامس

الإصلاح في المجال الأدبي و الثقافي

أ ــ الشعر.
ب ــ الكتابة.
ج ــ الثقافة العامة.
د ــ الآداب.

اهتمت الحركة الإصلاحية بالجانب الثقافي و أولته أهمية بالغة وعملت على بعثه،وتشجيع كل من يحاول إحياءه والاهتمام به.ذلك لأن نظرة الحركة الإصلاحية كانت شمولية لا تهتم بجانب دون آخر،قاصدين بذلك نهضة متكاملة لا تقتصر على الجوانب الدينية أو الاجتماعية أو السياسية فقط.يقول الدكتور عبد الله ركيبي:"...وقد ألحوا أيضا على ضرورة توحيد الفكر والاتجاه بين المواطنين،والعمل على انتشار المدارس والصحف والنوادي والجمعيات الأدبية وما إلى هذا مما يمكن أن يكون طريقا للرقي المادي والنهضة الفكرية"[1].

ومن جملة ما ركزت عليه الحركة الإصلاحية "الشعر"،الذي اتخذت منه وسيلة لنشر الأفكار الإصلاحية،ونشرت القصائد والمقطوعات في صحفها وشجعت الشعراء أيما تشجيع.وقد كان هذا الاحتفال بالشعر والشعراء،مبكرا.ففي سنوات "العشرينات حيث تيقظت الأذهان وتمكنت الأفكار الإصلاحية من نفوس الناس وانتشر دعاتها وأنصارها شرقا و غربا في أرض الجزائر،أصبح الشعر فيها سلاحا من أسلحة الفكر الإصلاحي"[2].

والطيب العقبي أحد رجالات الحركة الإصلاحية في الجزائر اهتم هو أيضا بالشعر فكتب القصائد و قرض الشعر وعارض الشعراء،وبذل جهودا في إحياء ودفع الحركة الشعرية في بداية النهضة الإصلاحية.وهذا ليس غريبا،فالرجل قد"تعرّف على الشعر الحديث واطلع على ما كتبه رواده وكان يصل إليه في الصحف،كأحمد شوقي ومعروف الرصافي وأمير البيان شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وفؤاد الخطيب"[3] والرعيل الأول من شعراء الحركة الإصلاحية؛من أمثال محمد العيد والأمين العمودي ومحمد سعيد الزاهري وغيرهم.فكيف كان موقف العقبي الإصلاحي مع الشعر؟ ذلك ما سنعرفه فيما يلي من صفحات.

أ-الشـــعـــر:

كان الطيب العقبي بطبعه شاعرا،فاحتفى بالشعر والشعراء منذ طفولته،وكتب القصائد الكبيرة و المقطوعات،حتى تجمّع لديه ديوان،ولكنه أتلفه لعدم رضاه عن مستواه[4]،ثم

---

[1]- د/ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث ص 562.

[2]- م س، ص 572.

[3]- كمال عجالي، الطيب العقبي أديبا، ص 221.

[4]-انظر السنوسي ، شعراء الجزائر ج 1 ، ص 130.

تجمع لديه ديوان آخر ضاع بسبب ظروف قاهرة [5]،وإن كان هو يعترف لنفسه بقلة الإنتاج[6]،لغلبة نزعة الخطابة والكتابة النثرية عليه[7]،ومع ذلك ،فقد كان يكتب الشعر بين الحين والآخر.يقول:"...وأصبح الشعر بعد أن تدرجت في مدارج الرقي الكوني والنمو البشري أمرا لا يهمني كثيرا طالما صرفتني عنه الصوارف! ولكن على كل أستطيع أن أقول الشعر و أنظم اليوم غير أني تارة أجيد الرماية وأصيب الغرض فلا أكاد أخطي وتارة يستعصي على ولا تكاد تجود القريحة إلا بما لا يسمن ولا يغني من جوع وكل ذلك لفقد الدواعي وقلة البواعث"[8].

ولما رجع العقبي إلى الجزائر في مارس 1920،واستقر به المقام في بسكرة وبدأ في حركته الإصلاحية الشاملة،أولى الشعر جانبا من نشاطه ودرّس للطلبة في مسجد بكار كتاب "الجوهر المكنون" للشيخ عبد الرحمن الاخضري[*] وهو كتاب في البلاغة.وشجع الشعراء على النظم والقريض وبعث فيهم الروح الأدبية والأريحية الشعرية،وكان يعقد جلسة أدبية أسبوعية يتطارح فيها القضايا والآراء حول الشعر والأدب[9].فالتف حوله شعراء كثيرون وأدباء مبرزون أمثال محمد العيد ومحمد سعيد الزاهري والأمين العمودي و علي بن عمارة البرجي وزهير الزاهري[10]،وأعجبوا به وبواسع علمه وأدبه[11].

وبعد العودة من بلاد المشرق،"وجد العقبي الوضع في الجزائر يختلف عن بلاد الحجاز،فتغيرت نظرته لوظيفة الشعر في الحياة فعمد إلى توظيفه في المعركة مع الطرقية وأتباعها،وجنّد كل طاقاته في حربها بالشعر والمقالة والخطبة والمحاضرة والمسامرة وما إليها.فأصبح شعره في هذه المرحلة من حياته شعرا في خدمة القضايا الإصلاحية أولا و قبل كل

5- م س، ص 130.

6- م س، ص 130.

7- انظر، أحمد شقار الثعالبي، الشيخ الطيب العقبي و سر التأثير في الجماهير، الشروق ع26، من 20 إلى 1994/01/27.

8- الهادي السنوسي، شعراء الجزائر ج1، ص 130.

*- انظر ترجمته في ، عادل نويهض، أعلام الجزائر/ ص 14-15

9- انظر، محمد الطاهر فضلاء(الطيب العقبي المصلح الثائر)، الثقافة ع 66 ص 41 و ما بعدها.

10- انظر، محمد الطاهر يحياوي، أحاديث في الأدب و النقد، ص 117.

11- محمد بن سمينة، محمد العيد آل الخليفة، ص 20.

شيء فجاءت أشعاره في المنتقد والشهاب والبرق والجزائر والإصلاح ملتزمة بالدفاع عن الفكر الإصلاحي"[12].

بنظرة بسيطة لمسيرة العقبي مع الشعر،نجد أن الرجل قد غير نظرته للشعر ووظيفته،فبعد أن كان شعره مقتصرا على القضايا الشخصية والأشعار الذاتية،بدأ يجنح به إلى خدمة القضايا الإصلاحية وأصبحت وظيفة الشعر هادفة بنّاءة،وتصب في خانة الإصلاح.وقد كان العقبي مثله مثل بقية شعراء هذه الفترة الذين ذهبوا إلى أن التجديد لا محالة شامل للدين والأدب أيضا يقول الدكتور عبد الله ركيبي عن الشعر والشعراء في هذه الفترة:"أمّا في فترة الإصلاح فإن رؤية الشاعر للدين قد تغيرت فأصبح الدين دين عمل ونضال لا دين خمول وجمود وانسحب هذا المفهوم للدين على الشعر،فبات تعبيرا عن التجديد في الفكر الديني أي أن وظيفة الشعر تغيرت أي تطورت،فبعد أن كانت رغبة في إظهار التعلق بالدين والتنويه بصاحب الرسالة،أصبحت تعبيرا عما في الدين من دعوة إلى العمل،بمعنى آخر فإن دور الدين في الفكر الإصلاحي ليس الجانب الروحي وحده،و إنما يضاف إليه البعد الاجتماعي،ومن ثم تحددت وظيفة الشاعر بأنه شاعر الدين والمجتمع معا"[13].وبمعنى آخر، أصبح للشعر وظيفة اجتماعية،فتحوّل من قضايا الذات إلى الموضوع.و خرج إلى آفاق رحبة كلها مسؤولية والتزام.فغدا من ثم الشعر ذا رسالة محددة،محورها الأول والأساسي خدمة الجماهير،والدفاع عن قضاياهم.أي" إن النظرة الجدية للشعر بوصفه فنّا جادا ملتزما هي الرؤية العامة للشعراء والمحور الذي تدور عليه قصائدهم"[14].

كما وقف العقبي مواقف علنية وصريحة ضد تلك الأشعار التي كانت تدور في أفلاك طرقية و صوفية،و التي بالغ فيها منظموها مبالغات،لم يكن العقبي وهو الرجل الإصلاحي يرضى بقبولها أو السكوت عنها،فكتب ينتقد شعر عاشور الخنقي ناقدا القضايا الفكرية (المضمون) والقضايا الفنية (الشكل).قال في الشكل بعد أن هدم الأفكار وأرجع أحكامه إلى صحيح القرآن

---

[12]- كمال عجالي، "الطيب العقبي و مذهبه في الشعر"، الثقافة س21، ع 112، 1996، ص 77-78.

[13]- د/ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 631-632.

[14]- م س، ص 640.

والسنة[15]:"إنها من حيث الصناعة ناقصة ومنحطة الدرجة عربية وتأليفا،ومن حيث العقائد الإسلامية مخالفة لما تقرّر في كتب الإسلام وذكره علماء الشريعة والحقيقة هي ضد كل ما ذكر وجاء في علم العقائد"[16].فالرجل مُلِمٌ بأنواع كثيرة من الثقافة والتراث؛من نحو وبلاغة ودين وعقيدة وشريعة وتصوّف وإلا لما تجرأ على نقد تلك القصيدة والتصدي لها ولصاحبها عاشور الخنقي.

لقد كان الطيب العقبي مولعا بالشعر مقدّما للشعراء ومحبا لمحمد العيد آل خليفةو"امتدح شعره وشاعريته في عدة مناسبات...منها ما قاله عنه ذات مرة بمناسبة إلقاء الشاعر قصيدته (سلام على الأوجه الزاهرة) في حفلة الجمعية الخيرية بالعاصمة (وكانت الحفلة برئاسة العقبي) من أنه أحسن وأرقّ من عرف في حياته من الشعراء.وعندما ألقى محمد العيد قصيدته العصماء (استوح شعرك) البالغة مئة وثلاثين بيتا وقف الطيب العقبي وقال للحاضرين:"إنني لم أقبل رأس مخلوق في حياتي،غير أن هذا الأسبوع قبلت رأس شاب أجاد فن الخطابة، وهو الفضيل الورثلاني، واليوم أقبل رأس شاب آخر نبغ في فن الشعر حتى وصل إلى الغاية منه وهو الأستاذ محمد العيد"[17].

هذا الموقف من العقبي يدلّ على أنه ذوّاقة للشعر والخطابة والأدب عموما.غير أننا نجهل ما هي المقاييس التي اعتمدها في أحكامه،اللهم إلا أن تكون أحكاما انطباعية استحادت ما جاء في ذلك الشعر أو في تلك الخطبة من قضايا وطنية وإصلاحية تهم الشعب الجزائري.يقول الدكتور علي خذري عن نقد هذه الفترة التي ساد فيها النقد الانطباعي:"...وهذا النوع من النقد هو الغالب على النقد الأدبي في هذه المرحلة ونعني به تلك الأحكام العامة التي يطلقها الناقد على نص شعري دون مراعاة الدقة في المصطلحات ودون التركيز على جانب واحد من

---

[15]- انظر، الطيب العقبي (حول القصيدة العاشورية) المنتقدع17، 1925/10/22، و كذلك ع18 1925/10/29.

[16]- الطيب العقبي (حول القصيدة العاشورية)، الشهاب ع3، 1925/11/26.

[17]- د/ أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل الخليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث ص 41.

جوانب النص،بل يحاول هذا النوع من النقد أن يحيط بالعمل المنقود في مجموعة من الانطباعات السريعة"[18].

وأما بالنسبة للكتابة نثرا،فلم يكن حظُّها أقل من حظ الشعر.كيف ذلك؟ ذلك ما سنجيب عليه في الآتي.

ب- الـكـتـــابــة:

عرف العقبي الكتابة في فترة مبكرة من عمره[19]،واطلع على كتابات مختلفة في صحف عربية في الحجاز ومن خارجه.وعرف عن قرب جريدة القبلة التي أنشأها الشريف حسين في مكة،تلك الصحيفة التي ترأّس تحريرها الأستاذ محي الدين الخطيب "الذي كان من الشخصيات ذات الأثر الفكري في جيل النهضة بما كان يحرّره من آراء وأفكار في أسلوب عربي رصين"[20].فتشبّع بتلك الأفكار وتعلّم من تلك الآراء،وحين رجع إلى الجزائر،وشرع يكتب في جريدتي المنتقد والشهاب أو البرق وصدى الصحراء كان صاحب رؤية جادة وخطة حازمة.فدعا إلى اتخاذ الكتابة لصالح الأمة بعيدا عن سفاسف الأمور أو التكسّب بها والجري وراء الثراء،أو جعلها منبرا للأهواء الشخصية،حيث الجرائد وسيلةٌ المتوَخى منها النفع العام.قال "فإن الجرائد في الأعصر الأخيرة هي مبدأ نهضة الشعوب. العالم القوي في رقيها،والحبل المتين في اتصال أفرادها والسبب الأول في تقدمها"[21].

إذن الكتابة مسؤولية ورسالة على متعاطيها أن يعرف ذلك ويقدّر قدرها ؛كتب في جريدة الإصلاح ،التي أنشأه مبينا سبب إنشاء الجريدة والكتابة فيها،يقول:"ولقد علمتُ أن خير واسطة وأحسن وسيلة تسرع بنا على بلوغ هذه الأمنية وتقرّبنا إلى المقصود زلفى حتى نتمكن من تحطيم صروح الجهل والأوهام ونبني منار تهذيب الأفكار وتنوير الرأي العالم (هكذا*) إنما

---

[18]- علي خذري، نقد الشعر في الدراسات الجزائرية الحديثة، ص 39.

[19]- انظر، السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص 127

[20]- عبر الرحيم أبو بكر، الشعر الحديث في الحجاز، ص 106.

[21]- الطيب العقبي (جريدة المنتقد في نظر الكتاب)، المنتقد ع 05، 30 جوليت 1925.

*- أظنها الرأي العام و ذلك للسياق و المعنى.

هي الكتابة في الصحف السيّارة فهي في نشر الدعوة والإسراع بها أجدى بكثير من الكتب المؤلفة والرسائل المجموعة..."[22].

فالرجل بتجربته، أدرك أن الكتابة في الجريدة أسرع من غيرها،من الوسائل كالكتب مثلا إلى الوصول للهدف المرسوم الذي كان يرمي إلى الوصول إليه.و الرجل عليم بأنه أمام تحد كبير لا بد من التغلب عليه،إذ يعرف أن أمامه صروح من الجهل والأوهام والخرافات والبدع،شاعت وتفشّت في المجتمع.وعلى كل متعاط الكتابة أن يعمل على تقويضها وإحلال الفكر النقي والاعتقاد الصحيح،وتشكيل رأي عام مستنير بالأخلاق الفاضلة.وإلا ما دور الكتابة إن لم تكن في خدمة مثل هذه الأغراض الشريفة و الأهداف النبيلة؟ إنها الأمانة الملقاة على عاتق الكتاب والعلماء والإصلاحيين الذين هم ضمير الأمة.

ولما كان العقبي" يتمتع بقلم صحفي ممتاز"[23]،وصاحب تجربة وخبرة في التحرير[24]،أسندت إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو ومحمد سعيد الزاهري،رئاسة تحرير جرائدها(السنة والصراط والشريعة والبصائر)."وفي رئاسة تحرير البصائر ظهرت له كثير من المواقف المشرّفة،وتعتبر البصائر أكبر الصحف العربية الجزائرية شهرة'وانتشارا وأعظمها أهمية لما تركته من أثر عميق في مجرى الحياة الوطنية من جميع جوانبها،وهي رابع صحيفة لجمعية العلماء تتكون من 8 صفحات مليئة بالمواضيع المختلفة حافلة بألوان الفكر اجتماعا دينا وأدبا"[25].

لقد أفادت الحركة الأدبية –شعرا و نثرا- من جريدة البصائر إذ لم ينشر فيها إلا ما كان جيدا وفي خدمة الجزائر،على مختلف الأصعدة.يقول الدكتور محمد ناصر عن جريدة البصائر ودورها في تقدم الحركة الأدبية في سلسلتها الأولى:"إضافة إلى الاهتمامات الإصلاحية في مجال الدين والمجتمع،فإن البصائر تعدّ من أهم العوامل التي تساعد على تطوير الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر فقد كانت المجال الواسع لأقلام اللامعين من الكتاب والشعراء في زمانها

---

[22]- الطيب العقبي (فاتحة الجريدة أو ديباجتها) الإصلاح ع1، 1927/09/08.

[23]- د/ أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص 38.

[24]- انظر، الهادي السنوسي، شعراء الجزائر ج1، ص 128.

[25]- محمد شرقي، الشيخ طيب العقبي و رحلة الإصلاح " مع جمعية العلماء"، محاضرة ضمن الأيام الدراسة الثانية للشخصيات العلمية و النضالية دائرة طولقة، 3-5 جوان 1987.

وكانت تخصص ركنا خاصا (للمباحث الأدبية و العلمية).ولعل اليد الطولى التي قدّمتها البصائر للأدب في الجزائر هو التزامها بنشر الإنتاج العربي الفصيح في نماذجه الراقية وأساليبه البيانية العالية وليس غريبا أن تكون كذلك وأغلب الذين كانوا يرابطون بين أعمدتها هم رجال جمعية العلماء حامية اللغة العربية وناصرة الدين الإسلامي في الجزائر بلا منازع"[26].

و لم يكن العقبي بالرجل المتعصب المستبد بالرأي،بل كان رحب الصدر يفتح باب النقاش والمحاورة،ويطلب المجادلة بالتي هي أحسن،كل ذلك حتى يصل القراء إلى الحقيقة.يقول"أما كلامنا مع الخصوم ــ و لا خصوم لنا ــ إلا أعداء الحق والحقيقة فسيكون خاليا من كل غرض شخصي و حَظٌ يُغمط به حق الغير جاريا مجرى المباحث العلمية وغير خارج عمّا تقتضيه الآداب العمومية كعنوان على الأخلاق الإسلامية ومثال يحتذيه المتظاهرون"[27].

فالعقبي من خلال النص السابق لا يريد من الكتابة المهاترات التي لا طائل من ورائها،بل يريد أن يرقى بها إلى الجدية،بحيث تكون على مستوى المباحث العلمية المؤسسة على الحجة والدليل،لا بمجرد الثرثرة وهراء الكلام، الذي يبتغي به صاحبه الانتصار للرأي الشخصي حتى و لو شاب ذلك ما شاب من هوى وساقط الكلام ومبتذل الأخلاق.

يقول في الخصم وموقفه منه"فإذا قنع الخصم فيه بالحجة والبرهان فذاك.وإن أبى أعرضنا عنه وتركناه وشأنه حتى يتبيّن له الحق الذي عرفناه أو يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين"[28].

فهو يبتغي من الكتابة خدمة القضايا المطروحة،لا الدخول في الجدل العقيم، الذي لا طائل من ورائه،وخاصة إذا تطرق إلى قضايا شخصية تجنح بالكتاب إلى الحديث عن المثالب والعيوب للأفراد؛يقول"ومن مسلكنا الذي نود سلوكه ونرغب دوام السير عليه ألاّ نحارب الناس في أشخاصهم وأموالهم،ولكننا نحاربهم ما غيّروا وبدّلوا أو ألحدوا في أصل الدين"[29].لأن التعرض

---

[26]- د/ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية ص 197.

[27]- الطيب العقبي (فاتحة الجريدة)، الإصلاح ع1، 1927/09/08.

[28]- م س.

[29]- م س.

إلى الأشخاص لا إلى القضايا سيفتح الباب إلى ذكر المقابح والعيوب ولا يمكن أن يوجد شخص معصوم منها.وعليه فـــ:" أقبح شيء في نظرنا ذكر الشخصيات ومحاولة الحط من كرامة الخصم بمعايب له شخصية قد يوكل فيها أمره إلى ربه وربما لا يسلم منها غير المعصوم"[30].

وكما يريد العقبي بالكتابة أن تكون جادة وفي خدمة الأهداف النبيلة،البعيدة عن الأمور الشخصية،فهو لا ينسى أنّ فضح المبطل أمر واجب تقره الشريعة ويوجبه الدين؛لأن الحق أجدر وأحق بالإيضاح والتبيان قال:"و ليس معنى هذا أننا لا ننتقد النزيه الحر ولا نذكر أي أحد كان بما لا يعجبه ولا يرضيه كلاّ. بل معناه أننا لا نذكر عيوب الأشخاص المستورة ولا نتبع عوراتهم لا لشيء سوى أنهم خصوم أما ذكر المبطل بباطله على الوجه الذي ترتضيه الشريعة وتجيزه فذلك ما لا مندوحة لنا عنه"[31].

فالنقد النزيه الذي يرمى إلى البناء وإحقاق الحق أمر مطلوب ولا ضير فيه.و ليس هذا فحسب، فالعقبي يعطي الفرصة للخصم ويتيح له المجال للرد و الدفاع عن رأيه ـــ هذا عين العدل ـــ مادام الخصم ملتزما بالأخلاق والآداب العامة والموضوعية"و ليس علينا بإزاء من تولى وأعرض إلا البلاغ والبيان والمحاججة بعد هذا كله بواضح الدليل والبرهان.و قد التزمنا أن ننشر كل مقال يردُ علينا (مادام يحوم حول الإصلاح) كيفما كان ولكن بشرط إلا يخرج عن حدّ اللياقة والآداب وألاّ يَمَسَّ الشخصيات بذكر العورة وما وراء الحجاب"[32].

لقد خَبِرَ العقبي الكتابة وجرَّب التحرير وتجمَّع لديه ما يؤهله لأن يكون كاتبا مرموقا،يمكن أن يُحتذي به ويُنهج نهجه،لذلك نجده يفرق بوضوح بأن الكتابة تحتاج إلى أساليب ويجب أن تراعى حسب كل صحيفة وخطتها.فقال مخاطبا محمد سعيد الزاهري،صاحب جريدة (البرق):"وأعدكم وعدا صادقا بأني (إن شاء الله) سأملأ البرق بمقالاتي الرعدية وصواعقي الزجرية وسأرسل على رؤوس الشياطين كل ما أستطيعه من شهب نارية فأبعث إلى مجلة الشهاب ما يليق بها ويملأ الكثير من أعمدتها وصفحاتها من كل ما يتفق مع خطتها وأرسل

[30] ـ م س.

[31] ـ م س.

[32] ـ م س.

لكنه ما يلتئم مع البرق ويخطف سناه أبصار المجرمين ويكون بلاء منصبا على رؤوس غواة الطرقيين"[33].

فعبد الحميد بن باديس وخُطته في جريدة الشهاب ليست هي خطة محمد السعيد الزاهري،والعقبي يعرف هذا،لذلك خصَّ كلَّ صحيفة بما يناسبها ويناسب طبع صاحبها و خطته التي ارتضاها لنفسه.

ج– الآداب:

لقد اهتم الطيب العقبي منذ نعومة أظافره بالأدب،واطّلع على كثير من التراث وأعلامه،حتى قال فيه الأستاذ أحمد بن السائح:" لقد كان المصلح الكبير الشيخ الطيب العقبي حرَّ الفكر،واسع الثقافة،قويّ التأثير لقوة اطلاعه الوافر على ألوان العلوم والمعارف"[34].

فلما تصدّى للإصلاح عمل على بعث الشعر والنثر وإحياء الآداب في نفوس الأمة وضمائر الجماهير،لما لهذه الآداب من نفع جمٍّ وفائدة كبيرة لا يعرف أثرها إلا العارفون بنواميس الحضارات وعناصر التقدم في الأمم والشعوب.يقول أحد الأدباء الفرنسيين:" إن أمة ليس لها أدب أمة خرساء ميتة أو صائرة إلى الموت قبل أن تحيى"[35].لذلك ركّزت الحركة الإصلاحية في الجزائر على إحياء التراث،و اهتمت بالآداب والمعارف،لأنها تعتبرها رافدا حضاريا وعنصرا مُهمًّا في تكوين ضمير الأمة ككل ،ووجّهت الشعراء والأدباء في صناعة وصياغة أعمالهم الأدبية[36].

يقول الشيخ العقبي:" هذا ومن الضروري في نظرنا لإصلاح الشعب الجزائري إحياء لغته وآدابه العربية وتربيته تربية عربية أخلاقية إسلامية عصرية حتى يتم له نظامه الإسلامي وتكمل له الحياة التي جاء القرآن بها"[37].

33– الطيب العقبي (إلى الأمام إلى الأمام)، البرق، ع7، 1927/04/18.

34– أحمد بن السائح، (الطيب العقبي المصلح الثائر)، العقيدة ع98، 15 جوليت 1992.

35– محمود المسعدي، تأصيل كيان، ص 123.

36– انظر، د/ محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص 35 وما بعدها .

37– الطيب العقبي (الديباجة)، الإصلاح ع15، 1939/12/28.

وكما دعا الطيب العقبي إلى الاهتمام بالآداب نظريا،فقد جسّد ذلك فعليا وأفسح المجال للشعراء والكتاب في جريدته (الإصلاح)،التي كانت تهدف أصلا إلى الإصلاح الشامل.فـــ" إلى جانب اهتمامات (الإصلاح) الاجتماعية في دائرة الإصلاح والنهوض بالأمة،نجدها تهتم اهتماما كبيرا بالناحية الأدبية كذلك.فقد كانت صفحتها الثالثة والرابعة مجالا ثريا لأقلام الكتاب الإصلاحيين ناثرين وشعراء ففيها نجد العديد من قصائد محمد العيد،والشيخ العقبي ونجد قصائد لمحمد بن بسكر وعلي بن صالح القراري،وحسن بولحبال ومحمد سعيد الزاهري...ونجد ركنا آخر خاصا للمسابقات الشعرية التي تدعو الشعراء إلى تشطير بعض الأبيات فتكون بذلك مجالا للمنافسة و التباري"[38].

وليس هذا فحسب،بل كان العقبي ينشر النماذج الشعرية والنصوص الأدبية الرفيعة لتربية الذوق ورفع المستوى الإبداعي لدى الشعراء الذين يتتبعون صحيفة (الإصلاح).فقد خصّص ركنا ثالثا لمأثور القول من الأحاديث والأمثال والحكم،وكانت الإصلاح تعنى بحياة رجال الفكر والأدب،فنشرت التفاصيل الدقيقة عن حياة الرسام الشهير ناصر الدين ديني بمناسبة وفاته أيضا"[39].

وهذا السلوك الفعلي من العقبي في اهتمامه بالأدب والشعر لهو دليل قاطع على نظرة العقبي الشمولية في مجال الإصلاح،التي لا تقتصر على الجانب الديني فقط،وإنما تتعداه إلى جوانب أخرى.

ينضاف إلى ذلك "أن اهتمام العقبي (صاحب جريدة الإصلاح) بالشعر والأدب ورجال الفن التشكيلي دليل على الحسّ الأدبي والجمالي لصاحبه وذوقه الرفيع في اختيار القصائد والمقطوعات وتشجيعه للحياة الأدبية والثقافية إلى جانب الإصلاح الذي كان يخوضه.كما ينمّ عن تفتّح ذهن الرجل على الفنون الجميلة وعدم تزمّته وتقوقعه في دائرة من يحرّم الفنون أو يقف

---

* : ناصر الدين ديني رسام فرنسي ولد في باريس 28 مارس 1861 ، أعلن إسلامه في فرنسا في سنة 1912 واستقر بمدينة بوسعادة ، حج على بيت الله الحرام في عام 1929 ــ توفي في باريس في 1929/12/24 ــ نقل جثمانه إلى مدينة بوسعادة وبها دفن في 1930/01/12.

د/ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص90.

[39]- م س، ص 90-91.

معاديا لها بحجة أو بأخرى.بل العقبي شاعر حسّاس وأديب مرهف يحترم الأدباء ويُجِلُّ الشعراء ويكن لهم كل التقدير في حياتهم و مماتهم إلى جانب كونه رجل دين مصلح من الطراز الأول كما هو شائع معروف"[40].

وقد يُنبي موقفه ذاك عن إدراكه العميق و اعترافه لما للفنون الجملية من دور وأهمية في حياة الشعوب المجتمعات،إلى جانب بقيّة المعارف والنشاطات الإنسانية الأخرى التي لا تتصادم مع العقيدة ولا تقوّض الأخلاق.

الحقيقة،لقد كان السبق في هذه القضية للشيخ محمد عبده أحد زعماء الإصلاح في العصر الحديث الذي أصدر فتواه في هذا الشأن بعنوان" الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها" والتي نفى فيها الحرج عن متعاطي هذه النشاطات الفنية الجميلة.فكانت فتواه سندا للحركات الإصلاحية الحديثة والمعاصرة في كلية النحت و الرسم و ما إليهما[41].

قال العقبي معرّضا بالمسلمين و تأخرهم، مقارنا بينهم وبيْن الدول الغربية التي أعطت لكل شيء حقه ومقداره من علوم ومعارف وفنون:

العلم صيّرهم كمـــا　　أبصرت سادات العبـــادِ
العلم كان دليلهـــم　　سعيا و ضربا في البـــلادِ
العلـــم ملّكهم نوا　　صينا فلجّوا فـــي عنـــادِ
غلت الفنون لديهم　　و أروى فنونك في كساد[24]

إنّ غلاء الفنون عند الغرب دليل اهتمام بها ونَفاقٍ لسوقها بينهم أما عند العربي المسلم،فهي كاسدة وفي ركود تام وهذا شيء يقلق العقبي ولا يجعله راضيا.وإن كساد الفنون لدليل كذلك

---

[40]- كمال عجالي، (الطيب العقبي و مذهبه في الشعر) الثقافة ع112، س21، 1996، ص78-79.

[41]- انظر، د/محسن محمد عطية، غاية الفن، دراسة فلسفية و نقدية ص197 و ما بعدها. وانظر كذلك عبد الرحمان شيبان ، مقدمة مجلة الشهاب ص 40 وما بعدها .و كذلك د/ عثمان امين ، رائد الفكر المصري ،الإمام محمد عبده ص 254 وما بعدها. انظر مصطفى ، عبده ، أثر العقيدة في منهج الفن الاسلامي ،دار الاشراق للطباعة و النشر ط1/، 1410 هـ/1990 م

[42]- الإصلاح ع3، 1929/09/12 و كذلك انظر، سيد قطب، في التاريخ فكرة و منهاج ص 20 و ما بعدها

على الجمود والخمول الذي لحق الأمة،فلا نهضة لها ولا تقدّم مادامت مُهملة هذا الجانب في حياتها.

و الآداب والفنون حافظة لأحلام وآمال الأمم ومسجلة لأهم أحداثها والبارز من وقائع حياتها. وصدق الشاعر أبو بكر مصطفى بن رحمون حين قال في هذا الصدد:

تفنـــى الممالـــك والآداب خالـــدةٌ ... و تختفي وسنا الآداب لـــم تغـــب
فربَّ مملكـــة فاقت حضارتـــهـــا ... أضفت عليها الليالي حالك الحجب
لم يخف إذ غيب الماضي عجائبهـــا ... ما خلّدت حولها الآداب من عجب[43]

نخلص في نهاية مناقشة هذا العنصر ــ الآداب ــ في إصلاح العقبي،إلى أن الرجل كان يهدف إلى أحياء الآداب العربية وبعثها من الوهدة التي وصلت إليها،بسبب عوامل كثيرة من التخلف الاستعمار،إلى جعلها درعا تُتقّى به الأمة من ضربات التشويه والفَرْنسَة،وتقويض كيان الأمة وإخماد روحها التي قصد الاستعمار الفرنسي إلى القضاء عليها منذ أول يوم وضع فيه أقدامه على تربة الجزائر.ولكن هيهات،فقد كان رجال الإصلاح بمثابة السد المنيع الذي حفظ على الأمة كل مقوماتها وعناصر هوّيتها،من دين ولغة وآداب وأعراف وتقاليد وتاريخ ومصير مشترك مع بقيّة الشعوب العربية الإسلامية الأخرى.و فوّتوا على الاستعمار فرصة كان يحلم بها منذ قرون عديدة رمى فيها إلى أن يجعل هذه القطعة من العالم العربي الإسلامي،"قطعة مسيحية" يُعبد فيها الصليب وتُدَقُّ فيها أجراس الكنائس غير أن الله خيّب ظنه و رَدَّ كيده في نحره، هوو أذنابه المسوخين.

د– الثقـــافة العـــامـــة:

عندما يفقد المرء كثيرا من العناصر المادية التي تحميه من الضربات الخارجية لا يجد لنفسه ملجأ غير الالتجاء إلى العناصر المعنوية،التي تعوّضه ما فقد وكذلك الشعوب و الجماعات التي لا تجد غير مقوّماتها المعنوية من دين وثقافة وعادات وتقاليد،تكون بمثابة الحصن والركن الركين الذي تأوي إليه عند الشدائد والأزمات.وهذا الذي وقع للجزائريين الذين لجؤوا إلى

[43]– كمال عجالي، ديوان أبي بكر مصطفى بن رحمون(توثيق)، ص 08.

ثقافتهم إبّان فترة الاستعمار إذ احتموا بها من هجمات المسخ والتدجين خلال مئة وثلاثين سنة.فما المقصود بالثقافة العامة؟

إن أقرب تعريف يمكن أن يستأنسه المرء،هو ذلك الذي صوّر الثقافة في صورة شمولية حيث ذهبت الدراسات الانثربولوجية الحديثة إلى أن"الثقافة بالنسبة للفرد وللمجموعة هي من حيث حقيقتها جملة القيم والرؤى والمفاهيم والمبادئ والاختيارات الفكرية والأخلاقية التي يبدعها إفرازا من صميم عبقريته أي فرد أو أي مجتمع بشري يستند عليها في سعيه الصانع الخلاق.وهي من حيث ظواهرها جُماع ما يتخيّله ويريده ويكسبه البشر بالجهد الفردي أو الجماعي ويصوغون فيه حياتهم المادية والفكرية والروحية والاقتصادية والاجتماعية في ظرف معين من الزمان و المكان"[44].

دعا العقبي . — كما دعا رجال الإصلاح — إلى التمسك بالثقافة العامة العربية الإسلامية الضاربة في أعماق التاريخ،فقال داعيا الجزائريين إلى الأخذ بثقافة وتراث الأجداد،الذين علّموا الغرب وثقّفوه و لولا عطاؤهم ذاك،لظلّ الغرب في مرحلة متأخرة من الهمجية والتخلف:

كم أمة أصبحت تعلو بعزتهـا	كانت لنيل العطا قدمـا ترجينـا
و كم قبيل أتى يبغي معارفنـا	و كم جموع لها كانـت توافينـا
كانوا يأمّون روض العلم دانيـة	قطوفه و معين الفضـل يبغونـا
كنا الشيوخ و كانوا من تلامذنا	ردوا علينا الذي من قبل تعطونا
ردوا علينا علوما لو بها بخلـت	جدودنا كنتم للبُهم ترعونا[45] (*)

---

[44]- محمود المسعدي، تأصل الكيان، ص 110.

[45]- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص 132.

*- يحسن قراءة كتاب عباس محمود العقاد:أثر العرب في الحضارة الأوربية دار المعارف بمصر ط8/ 1973 فهو كتاب جيد في هذا الموضوع .و كذلك ، زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب ، فهو من أحسن الكتب في هـذا الموضوع و صاحبته أكثر موضوعية و حيادا و أكبر المعترفين بما للعرب و المسلمين من فضل على الحضـارة العربيـة الإسلامية — و كذلك يحسن قراءة ، سير توماس أرنولد تراث الإسلام . ط1978/3 م

و قال في موقف آخر ينكر على الجزائريين تقاعسهم عن الأخذ بأسباب التقدم والتطور،بينما كان الأجداد مضرب المثل في السؤدد والمجد فما المانع أن يكونوا مثلهم؟:

كنتم بنـــي العرب الكـــرا   م أجلّ من قـــاد الجياد
كنتم ذوي الفصحى و كنـــ   تم خير من نطقوا بضـــاد
كنتـــم وكـــان جلالكـــم   وعليكم عدت العـــواد
مـــــاذا دهاكم ويْحكـــم   فلبستـــم ثوب الحـــداد
هل صدّكم عن ساحة الـــ   علياء دون الناس صاد[46]

لقد كان الشاعر الإصلاحي ينظر إلى الماضي وما حواه من تراث وقيم وثقافة،على أنه الفترة الناصعة في حياة الأمة لذا يجب بعثه واقتفاؤه من جديد يقول الدكتور عبد الله ركيبي:"...كان رجال الإصلاح لا يرون تقدّما بغير المقومات الأساسية للشعب،من لغة ودين وتاريخ وحضارة،ومن هنا اتجه الشعر إلى التركيز على فكرة (الإحياء) وكانت النظرة تتجه إلى الماضي الذي يمثّل النموذج المحتذى"[47].

وجد العلماء الإصلاحيون متنفّسا رحبا في الماضي و ذالتاريخ من ضغط الواقع المكبّل بالقيود الاستعمارية،فكان لهم الماضي والتاريخ الروضة الفسيحة والجنة الغناء، بما فيها من نماذج ثقافية أدبية وشخصيات تاريخية ودينية،فعوّضتهم عن العالم المفقود في الحاضر المزري بثقل الواقع الذي صنعه الاستعمار،لذلك نجدهم في كل مرة يدعون إلى العودة إلى ذلك الماضي التليد المفعم بالأمجاد المآثر، التي تعوّضهم عمّا فُقِدَ في يومهم المرهق.يقول العقبي:

لك أيها العربي تـــا   ريـــخ مجيـــد لو يعـــاد
قُمْ جدّد الذكرى له   واعمل بجـــد واجتهـــاد
لك في جدودك آية   لم يمحها العصر الشداد[48]

فالعقبي هنا يذكّر بالماضي والتاريخ المجيد،ويريد له أن يُحيا و يجدَّد بجدٍّ واجتهاد،كما يريد له أن تُنشر قيمه وثقافته مرّة ثانية، ذداعيا إلى النهضة و ذالأخذ بأسباب الحياة ثانية، منكرا على

46- الإصلاح، ع3، 1929/09/12.
47- د/ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 561.
48- الإصلاح ع3، 1929/09/12.

الجمهورمن قرّائه الركود والجمود والرضوخ إلى الواقع،برغم ما فيه من سلبيات تعوق الحركة نحو المستقبل.يقول الدكتور عبد الله الركيبي متحدثا عن الرجل الإصلاحي عموما و الشاعر خصوصا في هذه الفترة من تاريخ الجزائر:"فكان الشاعر يستغل أية مناسبة ليعلن عن إيمانه بالتطور وأمله في النهضة ويدعو الشعب إلى الأخذ بأسباب الرقي والتقدم،وقد يبالغ في وصف الواقع وانحداره إلى حدّ اليأس من إصلاحه ويصوّر ذلك في أسلوب فيه لوم بقدر ما فيه من بعث للنخوة وإيقاظ للهمم"[49].

كان العقبي يهدف إلى بعث الثقافة العربية الإسلامية بعد أن أقفرت منها جنبات الجزائر سنين طويلة بفعل الاستعمار،الذي كان يصبو إلى فرنسة الجزائر وسلخها من محيطها العربي والإسلامي وانتمائها المشرقي العريق.لذلك كانت رَدَّةُ الفعل من رجال الإصلاح مضادة لمقاصده و مراميه الخبيثة.قال الدكتور علي مراد وهو يتحدث عن العقبي ونموذج إصلاحه في الجزائر:"فقد عمل بقوة لتأكيد التعريب كعنصر أساسي للشخصية الجزائرية ويظهر أن الشيخ العقبي كان يبحث عن إثبات التعريب الشامل ويقدّم لمعاصريه صورة حية من خلال شخصه هو..."[50].

نعم إن العقبي يريد أن يشيع في الجزائريين النموذج العربي الإسلامي من خلال الثقافة العربية الإسلامية والحضارة التي نتحت في أجوائها لا من خلال شخصه هو — كما يذهب الدكتور مراد- —لأن شخصية العقبي قطرة من بحر زخار لتلك الحضارة السامية بنماذجها العالية منذ نشوئها.وما العقبي وابن باديس والإبراهيمي ومن شاكلهم إلا جنود في خدمتها و تقدّمها تطوّرها وتطويرها.

نخلص مما سبق إلى أن الطيب العقبي قد اتخذ من الشعر والكتابة والآداب والفنون الجميلة والثقافة العامة،وسيلة لخدمة الأمة وتحقيق الأهداف الإصلاحية التي رسمها هو وأضرابه، من رجال الإصلاح في الجزائر.

49- د/ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 574.

Ali.Merade , le réformisme musulman en Algerie de 1925 à 1940 p 105.-50

الفصل السادس

الاصلاح في المجال السياسي

أ ـــ الدعوة إلى تكوين الجمعيات.
ب ـــ الدعوة إلى تكوين الأحزاب.
ج ـــ الدعوة إلى تصفية الاستعمار.
د ـــ الدعوة إلى اتحاد مغاربي.
هـــ ـــ مؤازرة العقبي للجامعة العربية.
و ـــ العقبي وقضايا الأمة الإسلامية.

لم يكن الإسلام في يوم من الأيّام،ضدّ ما ينفع المسلمين في شؤون دنياهم،فهو مع المصلحة،مادامت لا تتصادم مع الأحكام التي جاء بها.إذ على المسلم أن يفيد ويستفيد مما حوله من خبرات وتجارب تُصلح من شأنه.وقد ذكر ابن قيّم الجوزية قريبا من هذه المعاني فقال:"قال الشافعي لا سياسة إلا ما وافق الشرع،فقال ابن عقيل السياسة ما كان فعلا ما يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي"[1].فمدار الأمر كله هو المصلحة،وحيثما كانت المصلحة فثمت شرع الله.

والحركة الإصلاحية في الجزائر وفي غيرها من البلاد العربية والإسلامية،اعتمدت الإسلام أوّلا وأخيرا في منهاجها الإصلاحي،ولم تُحجم عن الأخذ بكل ما هو صالح مفيد مما ابتكرته الإنسانية من خبرات وتجارب ومعارف وعلوم[2].

وكما اهتم العقبي في منهجه الإصلاحي بالجانب الديني والاجتماعي والثقافي، فقد اهتم أيضا بالجانب السياسي.وكان الرجل كما كان غيره من رجال الحركة الإصلاحية يهدفون إلى إعداد الإنسان الجزائري،وبثّ الوعي السياسي في العقول والأفكار التي بدأت تستفيق من سباتها العميق،الذي فرضه الاستعمار الفرنسي البغيض.يقول أحد الدارسين بهذا الصدد عن الإعداد السياسي:"ونعني به تكوين الفرد الجزائري تكوينا سياسيا، يمكّنه من القيام بدوره الحضاري في مواجهة تحديات الاستعمار الفرنسي المفروضة على الشعب الجزائري وذلك من خلال تقوية الوعي والشعور بوجوب تحرير الجزائر من قبضته،والإعداد للاستقلال،وتعميق مفهوم الحرية في النفوس وإعادة الاعتبار للهوية الوطنية والتأكيد على البعد الوحدوي للأمة الجزائرية وتعزيز انتمائها للأمة العربية الإسلامية ومحاربة مظاهر الإدماج والتجنيس،وكشف حقيقة الاستعمار

[1]- أبو عبد الله محمد بن أبو بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي الطرق الحكيمة ص 13.

و انظر كذلك، محمد الغزالي حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام و إعلان الأمم المتحدة. ، ص 25 و ما بعدها و نظر ، كذلك د/ محمد عمارة معركة المصطلحات ، ص 128 و ما بعدها.

[2]- انظر، د/ محمد زرمان، الانفتاح الحضاري ومكانته في نظرية التغيير الإسلامي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الموافقات، ع 5 جوان 1996، ص 137.

الفرنسي وأهدافه الصليبية ووسائله وأساليبه الخبيثة وفضح عملائه وأعوانه وردّ شبهاته وأباطيله التي ينشرها في أوساط الشعب"[3].

وقد سلك العقبي لتحقيق تلك الأهداف المرجوّة من الإعداد السياسي وسائل شتى و طرقا مختلفة.وكان من أبرزها:

أ- الدعوة إلى تكوين الجمعيـــات:

أدرك الشيخ الطيب العقبي منذ عودته إلى بلاده الجزائر،قافلا من بلاد الحجاز،أن جهود المصلحين و هُمْ فرادى،لا يمكن لها أن تأتي بالثمار المرجوة.فكان من أوائل من دعا إلى تكوين جمعية أو حزب يجمع العلماء ويوحّد جهودهم ويوحّد تصورهم.وهي نفس الفكرة التي كان يذهب إليها الشيخ عبد الحميد بن باديس ومعه الإبراهيمي[4] وآخرون غيرهم.

فالعقبي كان يرى أن عمل الأفراد أشتاتا في المجال الإصلاحي الأفضل منه أن يكون عملهم جماعيا فقال:"وهؤلاء القليل لم تظهر لأعمالهم من آثار تذكر ولا كان لصوتهم الخافت في مجموع الأمة من صدى ولا تأثير ذلك لأن أهل هذه الطبقة الذين هم أقل من القليل لم تتوحّد كلمتهم إذ ذاك و لم يتّحد لهم برنامج عملهم"[5] .

والحقيقة التي لا شك فيها هي أن العقبي،"و معية العلماء المسلمين الجزائريين. في اعتمادها على الإصلاح الجماعي المنظم كقاعدة أساسية في التغيير الحضاري،قد اختلفت تجربتها عن التجارب الإصلاحية المشرقية التي غلب عليها الطابع الفردي،حيث نحت نحو العمل المؤسساتي المبني على التنظيم والتعاون والتنسيق والتشاور،وتوزيع المهام،لأن التحديات الضخمة والخطيرة التي كانت تواجه الأمّة هي التي فرضت عليها هذا الأسلوب في الإصلاح"[6].

وقد لعبت جمعية العلماء دورا فعّالا في الحفاظ على الهوية الجزائرية،وعملت جهدها في بثّ الوعي الحضاري،وخلقت بذلك إنسانا جزائرياجديدا،يمكن أن يخوض معركة التحرر.يقول

---

[3]- د/ محمد زرمان، فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ البشير الإبراهيمي)، ، ص166.

[4]- انظر، محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، ص83 و 85 و 86.

[5]- الطيب العقبي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، البصائر، ع46 بتاريخ 1936/12/04.

[6]- د/ محمد زرمان ، ملامح الخطاب النهضوي في فكر الطيب العقبي، محاضرة ألقيت في ملتقي الشخصيات النضالية و العلمية الجزائرية للشيخ الطيب العقبي دار الثقافة، أحمد رضا حوحو بسكرة يومي(7-9)ماي 1997، ص13.

الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف عن الجمعية "تعدّ الجمعية بدون منازع أولى الجمعيات في تاريخ الجزائر المعاصر التي طالبت باسترجاع الهوية الجزائرية واستعادة مقوّمات الشخصية الوطنية الضائعة"[7].وإن كان ذلك الهدف قد حُفّ بالسرّية والكتمان في المراحل الأولى من حياة الجمعية.ما الدعوة إلى الانضمام للجمعية والعمل في إطار جماعي إلا محاولة لإيجاد الأرضية الصلبة والإنسان الكفء القادر على خوض غمار مايفرضه هذا الهدف من جهود وتضحيات كبيرة أوّلها النّفس.

اتّبعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خُطة العمل المرحلي وسياسة الخطوة خطوة."أما المرحلة الثالثة فتتمثل في الكفاح من أجل الاستقلال وتكوين دولة عربية إسلامية وقد اتضح هذا الموقف في مناسبات متعدّدة برز فيها قادة الجمعية بتفكير بعيد النظر إلى المستقبل"[8].

لم ينحصر عمل العقبي في المجال الإصلاحي على جانب دون آخر بل كان صاحب رؤية شاملة[9]،يعمل على الإصلاح في أكبر قدر ممكن من المجالات،ويدعو إلى العمل المنظّم ويشارك فيه بنفسه،كلّ ذلك لعلمه بجدوى التنظيم والعمل الجماعي.لذلك نجده يقبل برئاسة الجمعية الخيرية الإسلامي ،ويرحب بالعمل فيها بكل حماس،وعن طواعية[10].

وقد جعل العقبي من هذه الجمعية الخيرية منبرا لآرائه الإصلاحية،وميدانا لأعماله الخيرية النافعة والهادفة في الوقت نفسه،وحثّ الجماهير على البذل والعطاء وترويضهم على الإنفاق في المشاريع الخيرية.و هيطريقة مثلى يتدرّج منها إلى البذل في المشاريع الكبيرة الأخرى.وبذل العقبي جهودا في ترقية هذه الجمعية الخيرية،وجعل احتفالاتها واجتماعاتها منتظمة وقارّة:"وكان اجتماع الخيرية بمثابة مهرجان اجتماعي وأدبي،تُلقى فيه الخطب والأشعار واتّضح ذلك في أوّل اجتماع الخيرية.فبعد افتتاحية العقبي للجلسة أوكلت الكلمة إلى المدعوّين فحاضروا حول طبيعة البرّ

7- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء و علاقاتها بالحركات الجزائرية، ص 257.

8- م س، ص 293-294.

9- انظر، أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية ص 331 و ما بعدها.

10- انظر، م س ، ص 332 و ما بعدها.

والإحسان،وأثره في المجتمع.وقد ألقى ابن باديس محاضرة تطرّق فيها إلى روح الإحسان في الأمة العربية"[11].

كما جعل العقبي من رحاب الجمعية ورشات مختلفة،متعددة الاختصاصات تستقبل الشباب ـــ إناثا و ذكورا ـــ تعلمهم الحرف والمهارات واللغات الأجنبية[12]،وتبعث فيهم حبّ العمل وتغرس فيهم كسب القوت باليد كما تعلّمهم الاعتماد على النفس بدل الركون إلى الكسل والتشرد والرضى بما توفّره الأسرة ـــ أبا و أما ـــ.

والخلاصة التي يمكن استنتاجها من دعوة العقبي إلى العمل ضمن الجمعيات بدل العمل الفردي،هو تكوين إنسان واع سياسيا واجتماعيا،إنسان متبصّر بوضعه السياسي،مدرك لحقيقته ووظيفته في مجتمعه.

والطيّب العقبي من خلال خطوات منهجه الإصلاحي السياسي والاجتماعي ندرك أنه من الرعيل الإصلاحي الذي"يوجّه جلّ اهتمامه إلى الحقل الاجتماعي ويرى أنّ مهمته تنحصر في إحداث تغيير على المستوى العقليات والأخلاق والنظام التعليمي بُغية تطويع الهياكل الاجتماعية الثقافية في العالم الإسلامي لتلبي متطلّبات العصر"[13]،متطلّبات العصر المتجدّدة التي يفتقدها المسلمون،و هم في أمس الحاجة إليها،بعد أن عمل الاستعمار على حرمانهم منها،ومحاصرتهم في اكتسابها والتضييق عليهم في اقتنائها.

وقد أدرك الاستعمار الفرنسي في الجزائر أن رجال جمعية العلماء بما فيهم الطيب العقبي بمشاريعهم الإصلاحية في السياسة والاجتماع وغيرهما يهدفون إلى مرام وأهداف بعيدة فاتهمهم بتعاطيْ السياسة وممارستها مع العلم أنهم جمعية دينية لا غير[14]"ونظرا للدّوْر الخطير الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإحياء مقومات الشخصية الوطنية،و الدفاع عن المصالح الحيوية للأمة الجزائرية،وجدت عنتا كبيرا من الاستعمار ولقيت الأذى الشديد وعانت من

---

[11]- م س، ص 335.

[12]- الاصلاح ع 21 ، 1940/04/05.

[13]- د/ علي مراد، الإسلام المعاصر، ص 34..

[14]- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، قانونها الأساسي و مبادئها الإصلاحية، ص 15. و كذلك النظر، الطيب العقبي (متمنيالي)، المنتقد ع15 بتاريخ 1925/10/08.

الحصار والتضييق واتهمت بممارسة السياسة.فقد كان الاستعمار يدرك أن إحياء مقومات الشعوب وتوعيتها بذاتها وتعزيز الشعور بانتمائها القومي والحضاري هو جوهر السياسة الحقيقي،و إنْ لم يكن في إطار رسمي"[15].

ب- الدعوة إلى تكوين الأحـــزاب:

كما سبق القول،فإن العقبي كان يدعو إلى العمل المنظم ويحبّذ أن تكون الجهود مؤطَّرة موحَّدة الرؤى،واضحة المناهج بدل التشتت وانفراد كل برأيه.ومن جملة ما دعا إليه الرجل إنشاء علاقات واتصالات بين الكتاب، حتى يتفقوا ويزدادوا قوة صلابة فقال:" أتمنى أن تكون بين الأدباء مواصلات علمية ومكاتبات ودادية يعرف بها بعضهم بعضا و تتقوّى بها روابط العلم بينهم لكي يتسنى لهم بعد اليوم أن يعيشوا إخوانا على سرر متقابلين ويتمكّن لهم أن يرموا بالأغراض الفاسدة جانبا ويقضوا على وشايات المفسدين ونمائم المغرضين"[16].

وإضافة إلى دعوته إلى تكوين الجمعيات وحثّه على ربْط الصلات بين الأدباء والكتاب،ومناشدته النخبة إلى مشاركة في توعية الجماهير والاحتكاك الفعلي بمشاكل الأفراد والجماعات،قصْد خلق حراك اجتماعي وثقافي في الأوساط الشعبيّة كقوله مخاطبا النخبة "فهلم أيها الشباب الناهض والمفكرون العاملون لمصلحة البلاد هلم...تطارحوا الآراء وانشروا للأمة مواهبكم العالية قاوموا الجهل البدع وانشروا العلم والحكمة..."[17].

ولّما بدأت أفكار الحركة الإصلاحية في الانتشار والذيوع ،شبّه العقبي أتباعها بالحزب فقال في إجابته لصاحب جريدة الشهاب:"لبيك يا حزب الإصلاح الديني لبيك"[18].فهو لم يكن يمانع قيام "حزب" يجمع رجال الفكرة الإصلاحية يوحّد رؤاهم ومنهجهم في العمل.والعمل ضمن حزب لا حرج فيه مادام يخدم الدين وقضايا الناس،يحفظ مصالحهم ويحقّق سعادتهم.إذ لا

---

[15]- الدكتور محمد زرمان، معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، ص 46.

و انظر كذلك ، مصطفى هادف، المشروع العلماني الفرنسي و موقف جمعية العلماء المسلمين منه، ص 168 و ما بعدها.

[16]- الطيب العقبي (متمنياتي)، المنتقد ع16 بتاريخ 1925/10/15.

[17]- الطيب العقبي (جريدة المنتقد في نظر الكتاب)، المنتقد ع5 بتاريخ 30 جوليت 1925.

[18]- انظر الشهاب، ع 6 بتاريخ 1925/12/17.

بأس من العمل في إطار الحزب كتنظيم وهيكل مُستَحْدث للعمل.يقول الشيخ محمد الغزالي"...فما رأي الإسلام في وجود أحزاب سياسية تسعى للحكم وتستعمل له أهبته وهي بعيدة عنه،وتقوم بقيادة المعارضة الشعبية إذا وجد ما يستدعى ذلك؟قلت هي كسابقتها،لا يوجبها الدين و لا يحرّمها"[19] .

و لم يُعادِ الطيب العقبي أي حزب. و لم ينكر عليه نشاطه،مادام محترما للشعائر الدينية مقدّسا لها، ومبجّلا لرجال الدين مقدّرا لهم.فقال حين تكوّن حزب "الوحدة الجزائرية"[20]:"اتصل بنا بعض رجاله معربا لنا عن مقْصد الحزب الذي لا يعدوا الصالح العام والعمل بجمع الكلمة والاعتصام بحبل الدين المتين حبل الله صراطه المستقيم فقلنا مرحى للدين وكلّ عمل باسم الدين من رجال جمعية و كل حزب لا يناهض الدين ولا يهزأ برجال الدين"[21].

كان العقبي يحبّذ من الأحزاب أن تكون في خدمة الصالح العام وتناضل من أجل مصالح الجماعة ويحذّر من الموالاة المجانية والتأييد من أجل المصلحة الحزبية أو الأغراض الشخصية.وعليه أجاب حين سُئِل بهذا الشأن قائلا:"لا رأي في تفضيل حزب على آخر وأنا لم أنخرط في أي حزب منها"[22].

فعلى الرغم من أن العقبي رجل إصلاح إلا أنه كان صاحب فكر سياسي متطوّر متجدّد يُماشي الظروف ويتجاوب مع الأحداث والمستجدات، ذلك ما نلمسه ويتجلّى واضحا في موقفه من الاستعمار.

---

[19]– محمد الغزالي، مئة سؤال عن الإسلام ، ص 247 .

وانظر كذلك، د/ حسن ملحم، محاضرات في النظم السياسية المقارنة ، ص 47 و ما بعدها.

و كذلك، محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص 77 و.ما بعدها.

[20]– انظر، عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي ج2، ص 449.

[21]– الطيب العقبي (كتاب و بيان من حزب الوحدة الجزائرية)، جريدة الإصلاح ع53 بتاريخ 25 جوان 1947.

[22]– (الشيخ الطيب العقبي يتحدث)، جريدة منبر الشعب، 3 أكتوبر 1947.

ج—الدعوة إلى تصفيـــة الاستعمـــار:

بعد عودة العقبي من بلاد الحجاز في مارس 1920،وعقب استقراره في الجزائر بصفة نهائية،كان الرجل ينظر إلى الاستعمار نظرة تحسب عليه أكثر مما تحسب له.إذ نحن نبحث عن موقفه ذاك وتطوره إلى نهايته.غير أن الدارس للحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر يعرف أن نظرته تلك كانت خاضعة لظروف موضوعية.و إذا سمحنا لأنفسنا يمكن أن نقول إنها كانت تكتيكا منه لا غير.لأن تطوّر الأحداث والظروف جعلته يُفصح عن فكرته الحقيقية ونظرته الأخيرة إلى الاستعمار.

وبعبارة أخرى لم يكن العقبي يريد أن يصطدم مع القوى الاستعمارية لعلمه بقوتها وظلمها وبطشها به وبغيره.فقد كان يطلب من أحرار فرنسا المعونة السند لخدمة صالح الجزائر وسكانها فقال:" نريد العلم ونحبّ رجاله و نرغب في نشر الأخلاق الكاملة بين أفراد شعبنا الذي لبث كل هذه المدة فقيرا منها و نودّ العمل على إسعاده ونحاول الصعود به إلى أقصى درجات الرقيّ والكمال ونتمنى كثيرا أن يكون لنا ذلك ويتمّ لنا في كل زمن بمساعدة فرنسا نفسها ومناصرة الأحرار من أبنائها المنصفين"[23].وحين استقر به المقام في العاصمة بعد سنة 1930،و بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،بدأ العقبي في انتقاد سياسة فرنسا بشيء من العنف والجرأة والاندفاع[24]. لكن الاستعمار لم يمهله، بل ضيّق عليه الخناق، وحاصره هو وغيره من العلماء بمقتضى قرار ميشال المشؤوم في فيفري 1933[25]،الذي منع العلماء من التدريس والوعظ والارشاد في المساجد.

ولّما تأسّسَ المؤتمر الإسلامي في صائفة 1936،وتكوّن وَفْدُهُ المتوجّه إلى فرنسا،كان الطيب العقبي من ضمن الوفد إلى جانب ابن باديس الإبراهيمي.وقد ألقى العقبي خطابا أمام السلطات الفرنسية وقال بحدّة وصراحة:"إن الحالة في الجزائر ليست مثلها في فرنسا إننا نُعامل

---

[23]– الطيب العقبي(فكرة حرة)، صدى الصحراء ع3 بتاريخ 1925/12/07.

انظر، الطيب العقبي (لبيك يا حزب الإصلاح الديني لبيك)، الشهاب ع6، بتاريخ 1925/02/17.

[24]– انظر، أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة ج2، ص 178 وما بعدها.

[25]– انظر، م س، ص 177–178.

فيها معاملة الكلاب،بينما الأجانب من الأسبان الطليان و غيرهم يتمتّعون بكامل الحقوق التي يتمتّع بها الفرنسيون إذ نحن المسلمين أهل الوطن نسلم للمذلة والهوان"[26]

غير أن عين الاستعمار كانت بالمرصاد، فدبّرت للعقبي،ولجمعية العلماء مكيدة مقتل كحول،بعد عودة الوفد من فرنسا.واتهمت العقبي بتدبير الجريمة فأثّر ذلك في نفسه ونفسيّته[27].وأعقب ذلك تطورات جعلت العقبي يعود إلى المهادنة والليونة مع السلطات الاستعمارية.

وأثناء الحرب العالمية الثانية،وبعد أن أعاد العقبي الكرة بإصدار جريدة الإصلاح،السلسلة الثانية[28]،عاد إلى النقد اللاذع فقال منتقدا السياسة الاستعمارية مطالبا ببعض الإصلاحات الملحّة التي لا تقبل التأجيل أو التأخير:"يُسب المسلم المقيد المغلول بقوانين خاصة ويُشتم لأنه لم يتعلّم ولأنه لم يعمل ولأنه لم يكن غنيا مثريا فلاحا كبيرا وملّاكا أو تاجرا أو صاحب معمل يعتز بثروة الوطن...ولكن هل وجد المسلم المقيّد المغلول من سبيل لكسر تلك القيود وتلك الأغلال حتى يعلم و يعمل كما عمل وعلم غيره من إخوانه من أبناء فرنسا الكثيرين...إذن فلماذا نُسب و نُشتم ولماذا نُهان ونُحتقر وسبب كل احتقار وكلّ إهانة هذه القوانين الاستثنائية فإلى المساواة بالجناب الوالي العام الجديد،فذاك كل ما يؤمله المسلمون الجزائريون من حكومة المارشال بيتان اليوم"[29].

ولّما يئس العقبي من الوعود وسياسة الإصلاحات والتلفيقات التي تطيل عمر الاستعمار وتوطّدُ أركانه أكثر فأكثر،تبيّن للرجل أن الطريق مع فرنسا مسدود[30].وعليه بدأ يُغيّر لهجته ويكشف عن نظرته الحقيقية للاستعمار،في وضوح وصراحة دون أدنى مواربة،وخاصة بعد أن انتشر الفكر التحرّري في العالم العربي وغيره فقال:"لاوصاية اليوم، لا انتداب،لا حماية،لا

---

[26]– خطاب الشيخ الطيب العقبي، الأمة ع 118 بتاريخ 1937/04/20.

[27]– انظر، د/ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ج3، ص 180.و كذلك انظر، أحمد مريوش (ندوة مع الشيخ أحمد حماني)، مخطوط ص 07.

[28]– انظر، د/ محمد ناصر، صحف العربية الجزائرية، ص 91.

[29]– الطيب العقبي،(في أذن الوالي العام)، الإصلاح ع29 س14، 29 أوت 1940.

[30]– انظر، الطيب العقبي،(الاستقلال و الحرية في الدين)، الإصلاح ع 47 س 20، 01 ماي 1947.

استعمار،ولا استثمار ولا امتلاك لشعب أو أمة إلا برضاها!...بل حريّة تقرير المصير لكل شعب واستقلال كل أمة بنفسها هو المبدأ الذي يسود العالم اليوم.وهو الحق المقدّس في نظر كل أمة حَرِيَّة بوصف الأمة الديمقراطية والنقطة الأولى التي تجمع عليها الآراء وتلتف حولها كلمة الشعوب وكل الأمم"[31].

والرأي نفسه، والفكرة ذاتها نجدها عنده حينما سئل عن رأيه في الاتحاد فقال مباشرة:"الاتحاد واجب علينا من جهة أخرى بحكم وضعيتنا الشاذة إذا الحالة تستدعي جمع الكلمة وتوحيد الجهود في سبيل تحرير أمتنا من الاستعباد"[32].

كما أن العقبي،حين كتب عن فلسطين،كشف الاستعمار الإنجليزي وبيّن جبنه ومؤامراته على الأمة العربية والإسلامية في فلسطين وغيرها.فقال:"...تولوا كبر هذا الأمر الخطير وكادوا لهم هذا الكيْد العظيم فقد جلبوا لفلسطين المحبوبة العزيزة عليهم كل بلاء وأنزلوا ساحتها كل مصيبة وكلّ رزية وبَلِيَّة من يوم أن عرفتهم بانتدابهم المشئوم عليها"[33].

وأوضح العقبي التآمر والتواطؤ بين الإنجليز والصهيونية،التي عشّشت في المؤسسات الدولية ومراكز القرار فقال عن تلك الجهود المنسّقة بين القوى الاستعمارية والصهيونية العالمية،وكيف مهّدوا لخلق دولة إسرائيل من العدم،وأعطوا فلسطين وأرضها "لقمة سائغة للآكلين،وغنيمة باردة لشُذّاذ العالم ونفاية الأمم من الصهيونيين،كان هذا من انجلترا الظالمة وتحت نظر وبموافقة جمعية قالوا عنها إنها جمعية الأمم وعصبة الشعوب المتمدنة في هذا القرن الذي سموه أيضا عصر المدنية والنور"[34].

ثم راح يبيّن كذب الاستعمار الإنجليزي وغدره وخُلفه للوعود،التي كان يُعطيها للشعوب فقال:"وما هي بأولى كذبتهم في عصر مدنيتهم هذه..."[35].فهي تعطي الوعود وتفعل

---

[31]- الطيب العقبي (التاريخ يعيد نفسه)، الإصلاح ع51 بتاريخ 3 جوان 1947.

[32]- استفتاء هام في قضية الاتحاد(رأي الشيخ الطيب العقبي)، جريدة المنار، (سلسلة التراث) (ش و ن ت) الجزائر 1982، العدد 17 س2 جمادى الأولى 1372هـ الموافق 6 فيفري 1953.

[33]- الطيب العقبي (كارثة فلسطين)، البصائر ع 78 بتاريخ 13 أوت 1937.

[34]- م س.

[35]- م س.

غير ما تقول فهاهي في فلسطين بعد أن وعدت بالاستقلال للفلسطينيين"أخذت تعمل على إبادتهم وإجلائهم عن بلادهم ومواطن آبائهم وأجدادهم لتستبدل بهم فيها قوما آخرين متوسلة إلى ذلك بكل وسائل الإبادة وجميع طرق الهلاك والإفناء..."[36].

وإذا كان القدماء قالوا "الكفرة ملّة واحدة"،فإننا نقول نحن "الاستعمار ملّة واحدة" فرنسيا كان أو إنجليزياأو أمريكيا.

د- الدعوة إلى تكوين اتحاد مغاربي:

حين استشرى النزاع وبلغ التهاتر بين الأحزاب في الجزائر قصارى ما يمكن أن يتصور المرء،بينما الاستعمار راح يشدّد قبضته على الجميع،دعا العقبي هذه الأحزاب جميعا إلى الاتحاد والتكتل فقال:"ندعو الجزائر إلى اتحاد أحزابها في حزب واحد كما رأى الأستاذ (ابن ناصر) محامي تونس بل محامي الإسلام والعروبة في تونس"[37].

بل أكثر من ذلك كله،فقد كان العقبي يطمح أن تتحد الأحزاب في كل شمال أفريقيا،وتُوحّد جهودها خدمة لمصالح شعوبها التي فرض عليها الاستعمار سيطرته وبسط كل نفوذه.فقال العقبي بهذا الصدد:"وندعو المغرب الأقصى بكل رجاله وزعماء (حزب الاستقلال) وحزب الشورى والاستقلال.كما ندعو زعماء تونس ورجالها العظام ونخصّ منهم الصالحيْن،صالح بن يوسف وصالح فرحات مُظهر وحدة الدستور الجديد والقديم والأستاذ الفاضل ابن عاشور ندعو الجميع إلى عقد مؤتمر في الجزائر أو غير الجزائر تُدعى إليه كل الأحزاب في أشخاص ممثليها ويُدعى إليه ذوو الشخصيات البارزة لكي نوحّد الصفوف ونكتل بالفعل أفريقيتنا الشمالية هذه في وحدة أو جامعة إسلامية عربية لأفريقيا الشمالية"[38].

و يتجلى طموح العقبي في هذا المشروع وتظهر أصالته،و مدى ارتباطه بعالمه العربي ومحيطه الإسلامي حين يقول:"يكون من أوّل أهدافها ومقاصدها ضمّ هذا المغرب أو الجناح الأيسر إلى المشرق وجعل هذه الجامعة الأفريقية كجزء لا يتجزأ من الجامعة العربية".[39]وهذه

36- م س.

37- (من صميم الحياة حياة الكفاح)، الإصلاح ع 68 بتاريخ 14 نوفمبر 1947.

38- م س.

39- م س.

أفكار في حقيقة الأمر تُحسب لصالح العقبي،وتدلّ على عمق تفكيره،فهو رجل وحدة واتحاد،يتمنّى لشعبه في الجزائر ولشعوب المغرب العربي الكبير،أن تكون كتلة واحدة لها ارتباط وامتدادها الوثيق،مع باقي الشعوب العربية الإسلامية.لأن في اتحادها قوة على المستعمر،وفي اتصالها بمحيطها العربي الإسلامي سند قوي لها في المواقف والمحافل الدولية التي سيطر عليها الكبار ومحالفوهم من أصحاب المال .والثروة المشاريع،كما بيّنهم العقبي وهو يدافع عن فلسطين،وكشف دسائس الاستعمار الإنجليزي والقوى الصهيونية المتحالفة معه،والمعشّشة في أروقة عصبة الأمم في المؤسسات العالمية صاحبة القرار.

إن الدارس لشخصية الطيب العقبي،المتتبع لمنهجه الإصلاحي،المتفحص لكل خطواته يدرك أن الرجل كان متلهفا على ربط الجزائر بمحيطها المغاربي والعربي الإسلامي،وهذا ما جعل أحد الدارسين يقول عنه : فقد عمل بقوة لتأكيد التعريب كعنصر أساسي للشخصية الجزائرية.ويظهر أنه أعجب بضرورة و حتى بعجلة هذا التأكيد"[40].

وربما تلك العجلة، وذلك التأكيد على ترسيخ التعريب يصور لنا ردّة الفعل التي كانت تدفع العقبي للوقوف أمام الهجمة الشرسة،والوتيرة المتسارعة التي كان يطبّقها الاستعمار الفرنسي على مجتمع الجزائر ،حتى يسرّع بتغريبه[41]،ويطمس هويته،وبذلك يسهل تفكيك عناصر هويته. فتبتلع فرنسا الجزائر لقمة سائغة.ولكن العقبي وأضرابه وقفوا لهذا بكل حزم وعزيمة.فخابت فرنسا و خاب فأل أذنابها.

هـــ- مؤازرة العقبي للجـــامعة العربيــــة:

إن الدارس لفكر رجال الإصلاح،وأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ليجد أن نظرتهم إلى قضايا العروبة هي نفسها نظرتهم إلى قضايا الإسلام،لأنهما في تصورهم شيء واحد،لا يمكن الفصل بينهما،ولا يمكن بحال من الأحوال الدفاع عن واحد دون الآخر،إذ هم في حقيقة الأمر"لا يفرّقون بين العروبة والإسلام بل يخلطون بينهما".[42] ومن ثمّ كنا نجد العقبي وهو يكتب عن القضايا العربية ينطلق من منظور إسلامي بحت.

ALI MERADE,le reformisme musulman en Algrie 1925 à 1940 p 106. -[40]

[41]- انظر، مصطفى هادف، المشروع العلماني الفرنسي وموقف جمعية العلماء المسلمين منه، ص2 و ما بعدها.

[42]- د/ عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ص 37.

عاش العقبي في بلاد المشرق سنين طويلة، واحتك بأنصار تيّار القومية العربية وعرف أفكارهم ومشاريعهم.وحين رجع إلى الجزائر لم ينقطع عنهم بل ظل يراسل بعضهم ويُناصر أفكارهم. * "،وكانت كتاباته وخطبه في ميدان العمل الإصلاحي بالجزائر جزءا لا يتجزأ من مؤازرته لبعث إحياء النهضة العربية الإسلامية"[43].

و لم يكن العقبي وحده ضمن هذا التيار،بل هناك غيره الكثير من رجال الجمعية الذين ناصروا القضايا العربية والقومية التي كان يعجُّ بها العالم العربي الإسلامي."ومن ذلك فلا غرابة أن نجد جمعية العلماء قد أسهمت هي بدورها في تدعيم فكرة الوحدة العربية لأن أبرز علمائها لم يكونوا غرباء عن الأحداث التي عرفها المشرق العربي إذ دَرَسَ بعضهم بالمشرق وتفهّموا طبيعته ومارسوا نشاطات تربوية وصحفية وحتى سياسية كما هو الشأن مع العقبي والإبراهيمي"[44].

وحين تأسست الجامعة العربية في مارس 1945،استبشر العقبي خيرا ورأى فيها منبرا لمناصرة القضايا العربية،ومنها قضية الجزائر،و عمل جهده في تعريف الجمهور بأهميتها وبأهمية دورها في الحياة العربية والإسلامية حاضرا ومستقبلا[45]،وشجّع كل جهود المخلصين في الدفاع عن القضايا العربية في المشرق والمغرب[46]،وراسل رئيس الجامعة العربية ، وأبرق له المّرات العديدة مؤيّدا لخطّ الجامعة ومباركا جهودها[47]،وحفّزَ أعضاء الجامعة في أكثر من مناسبة إلى الاهتمام بالقضيّة المركزية للأمة العربية و الإسلامية ـــ قضية فلسطين ـــ[48].

لقد كان العقبي يؤمّل في الجامعة العربية آمالا كبيرة،ويطمح أن تحقق للعرب بعض طموحاتهم.لذلك نجده يصرّح لأمينها العام "عزام باشا" ببعض طموحاته وتصوراته لأعمال

---

* ـ مثل شكيب أرسلان، عن حياته انظرإبراهيم العريسي(شكيب أرسلان) مجلة الحدث العربي والدولي ع 28 / أيار 2003 ص 04 وما بعدها .

43 ـ أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 469.

44 ـ م س، ص 468.

45 ـ انظر، الإصلاح ع 46 السنة 20 بتاريخ 10 أفريل 1947.

46 ـ انظر، الإصلاح ع 50 السنة 20 بتاريخ 26 ماي 1947.

47 ـ انظر، الإصلاح ع 47 السنة 20 بتاريخ 1 ماي 1947.

48 ـ انظر، الطيب العقبي (نص البرقية الموجهة إلى الجامعة العربية) الإصلاح ع 46، 10 أفريل 1947.

الجامعة المرجوة،والمنتظرة فقال:" إن الحاضرين يعلنون ارتباطهم الوثيق بمبادئ الجامعة العربية التي تسعى لتحقيق كرامة الإنسان، والتي تَعْتَبِرُ حقّ الشعوب في تقرير مصيرها حقّا مقدّسا لا جدال فيه و هُمْ يرجون الرجاء الأكيد أن ينتصر الحق أخيرا على كل قوة غاشمة"[49].

يقول أحد الدارسين:"ومما لا شك فيه أن برقيّة العقبي إلى عزّام باشا جعلت هذا الأخير يولي بعض الأهمية للقضية الجزائرية وقد تحصّل العقبي بعد ذلك على نشرة لمشروع عقد مؤتمر عربي يضم البلدان العضوة بالجامعة.و قد احتوى المشروع 12 نقطة هامة تقدم إلى المؤتمرين.ولا يستبعد أن تكون القضية الجزائرية قد أدرجت في جدول الأعمال"[50].

و– العقبي و قضـــايا الأمّـــة الإسلاميـــة:

عرف العقبي تيار أنصار الجامعة الإسلامية سنوات كان مقيما في الحجاز،في بداية القرن العشرين. هو تيار أدرك أصحابه أن نضال الشعوب العربية الإسلامية متفرقة أمام الغرب عمل لا طائل من ورائه فقد"ظهر هذا التيار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كردّ فعل على الغزو العسكري والثقافي الغربي للعالميْن العربي والإسلامي،ونتيجة عجز الدول الإسلامية عن إيقاف هذا الغزو أوردِه،وذلك بعد أن تيقّن عدد من المفكرين المسلمين أن النضال المحليّ في كل قطر إسلامي ضد الغرب لن تكون له جدوى مادام الغرب متفوقا من الناحية العسكرية".[51] ومن ثم، فقد راحوا يعوّضون ذلك النقص الذي عمّ الشعوب العربية والإسلامية بمحاولات التوحّد في جامعة تضم الأقطار العربية والإسلامية،علّها تسدّ بعض الشيء من هجمة الغرب الاستعماري الذي سيطر على هذه الشعوب واستغل خيراتها وثرواتها؛"فعمدوا إلى العمل السياسي المنظّم الشامل وَسَعَوْا إلى الوحدة العامة بين الأقطار الإسلامية و ثَبُتَ لهم أيضا أنه للوصول إلى أهدافهم تلك لا بدّ من اتخاذ الوسائل اللازمة لنهضة صحيحة تقوم على العلم وعلى التربية السليمة والتحديد في مختلف مناحي الحياة وكان منطلقهم الأول أن الإسلام صالح لنهضة المسلمين المطلوبة"[52].

---

[49]– جريدة الإصلاح ع 47 بتاريخ 1 ماي 1947.

[50]– أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص480.

[51]– د/ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، ص 109.

[52]– م س الصفحة نفسها.

لقد استوعب العقبي هذه الأفكار وكان على اتصال مكثّف بدعاة الجامعة الإسلامية أمثال: شكيب أرسلان، والمكي بن عزوز ومُحبّ الدين الخطيب ولم يتوانَ في الدفاع عنها ونشرها بين الأوساط. إذ حين سنحت له الظروف، وأنشأ جريدة الإصلاح سنة 1927. دعا إلى الإصلاح في الشعب الجزائري كما دعا إصلاح الحال في جميع القطار الإسلامية،" ويُعتبر ذلك إسهاما من العقبي في البحث عن تفكير جديد لإحياء الأمة الجزائرية من الوجهة الإسلامية حتى ترقى، في نظره، إلى مصاف دول الشرق ولعلّ تلك الدعوة الصريحة من العقبي لجمع الأمة وتوحيد أفكارها بتوحيد عقيدتها هي التي أدرجته في مصاف الأوائل المنادين بإحياء حركة التجديد الإسلامي في الجزائر"[53].

و لم يحصر العقبي دعوته إلى الإصلاح في الجزائر فقط، بل كان يذهب إلى أن الإصلاح يجب أن يعم كل الأقطار العربية والإسلامية ،لأن الأمة الإسلامية واحدة وما هذه الحدود إلا من صنع الاستعمار، الذي يريد أن تبقى الأمة متفرّقة حتى يسهل عليه استغلالها[54]." وكان العقبي يعبّر عن نظره تجاه العامل الإسلامي في كل المناسبات وخلال الاجتماعات التي كان يعقدها. ففي سنة 1936 احتضنت مدينة وهران اجتماعا جهويا للتحضير للمؤتمر الإسلامي برئاسة (قدور بوسحبة) وقد حضر العقبي هذا التجمع وصرّح خلاله أن الشعب الجزائري يتشابه مع إخوانه في الأقطار الأخرى وأن العرب يتشابهون مع إخوانهم و هم مسلمون يفهمون جيدا حقيقة وأبعاد العمل الإسلامي"[55].

لم يترك الطيب العقبي مناسبة أو فرصة دون أن يعبّر عن عروبة وإسلام الجزائر برغم كل الظروف المحيطة بها من جراء الاستعمار الفرنسي، كما كان يذكّر في كلّ محفل بانتمائها إلى العالم العربي والإسلامي، بصفته محيطها الحقيقي والطبيعي منذ قرون وقرون، وسيظل كذلك؛ لأن الاستعمار عَرَضٌ زائل، وسيأتي حين من الدهر ويزول وتعود الجزائر إلى طبيعتها العربية الإسلامية.

---

[53]- أحمد مريوش، الشيخ العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 469-470.

[54]- انظر، جريدة الإصلاح ع 21 س 13 بتاريخ 15 أفريل 1940.

[55]- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص 470-471.

وهناك ملاحظتان يحتم الواجب إثباتهما،الأولى: أن العقبي كان يتّبع أسلوب المرحلية في منهجه الإصلاحي،فإن لم يحقّق الأحلام الكبيرة والمشاريع الضخمة،فهو لا يستهين بالقريب القليل.وإنه إذا كان تحقيق وحدة بين العالم العربي والإسلامي شيء يكاد يكون مثاليا وصعب التحقّق لظروف مختلفة فإن العقبي دعا إلى اتحاد مغاربي كخطوة أولى في طريق الوحدة الطويل.

تلك واحدة،والثانية أن الرجل لم يكن يفرّق بين العرب والمسلمين فهُما في تصوّره شيء واحد،و هُما وجهان لعملة واحدة،والعمل لصالح هذه هو بالضرورة لصالح تلك.وبذلك فإن حكم الأستاذ أحمد مريوش حين قال:" إن حركة الإصلاح عند العقبي تنطلق أساسا من الفكرة الإسلامية أكثر من انطلاقها من فكرة العروبة"[56]حكم يحتاج في تصوّرنا إلى مراجعة وتمحيص أكثر،لتداخل مفهومي العروبة والإسلام في فكر ونظر رجال الإصلاح في الجزائر،وعند بعض الاصلاحيين في المشرق[57]

خلاصة القول في هذه النقطة،نقول:إن العقبي لم يفكّر يوما من الأيام أن الجزائر أصبحت من فرنسا وإن اضطرته الظروف في مواقف إلى المناورة والمداورة أمام بطش الاستعمار وأذنابه وليس هناك دليل أكثر وضوحا على ما أزعم سوى قوله في صراحة ووضوح"لا غرو ولا عجب أن تكون هذه الأمة كغيرها من الأمم،بل في مقدمة الأمم، و هي جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي كله، أحب من أحب وكره من كره"[58].

---

[56]- م س، ص 471.

[57]- . أنظر ، عبدالإله بلقزيز ، إشكالية المرجع في الفكر العربي المعاصر ص 52 ، وما بعدها .

[58]- جريدة الإصلاح ع 51، س 20 بتاريخ 3 جوان 1947م.

ذلك اعتقاد الطيب العقبي رحمه الله عليه،وذلك اعتقادنا نحن أيضا اعتقادٌ لا يتزعزع ولا يرقى إليه شك كما لا يرقى إلى اعتقادنا في أن الله واحد أحد فرد صمد.و إن شكّكَ المشكّكون أو تخاذل المتخاذلون وتبجّح المُنبهرون أو المسلوبون ـــ حضاريا ـــ بالغرب وقشور مدنيّته التي برز للعيان تحيّزها وضررها أكثر من نفعها و الله المستعان.

الخاتمة

ما خلصتُ إليه في نهاية هذا البحث أوجزه في شكل نقاط هي:

1 ــ أن العقبي ــ رحمه الله ــ جاء في وقت تحتاج فيه الجزائر فعلا لأمثاله من المخلصين وفي ظرف كادت أن تذهب بفعل الاستعمار وأذنابه الذين أوهموا الناس أن فرنسا سوط الله المسلّط على الجزائر عقوبةً منه لها على آثام أهلها.فبعث الله من يسفّه مقولاتهم ويردها في وجوههم منقوضة الواحدة تلو الأخرى كما فعل العقبي وابن باديس والإبراهيمي والميلي ومن إليهم.

2 ــ أن العقبي كان فعلا رجل إصلاح بما يحمله من رؤى وأفكار أصيلة ومستنيرة،تصبُّ في خدمة الدين والوطن واللسان بمنهجية واضحة و أهداف نبيلة.

3- وأنَّ منهج العقبي كان يهدف إلى تنقية الدين من الشوائب والأوشاب التي لحقت به عبر العصور والرجوع بالناس إلى المنابع الصافية الأصيلة من قرآن وسنة شريفة صحيحة،والدعوة إلى تفعيل الحياة والسلوك والمواقف لدى الجزائريين بما يخدمهم وبما يخدم الإنسان ضمن أحكام الدين والإفادة من بقيّة المعارف الأخرى والأفكار النافعة ليتقدّم الجزائري خطوات إلى الأمام حتى يصل إلى أهدافه الغالية المتمثلة في التحرُّر،والعيش في سلام وأخوَّة واحترام.

4- وأنَّ العقبي اعتمد في تحقيق أهدافه على وسائل أثبتت الأيام جدواها وصلاحيتها وسرعة تأثيرها مثل الصحافة والخطبة والمحاضرة والاحتكاك بالناس وما إلى ذلك مما يقرب بين المُصلح وجمهوره .

5 ــ أبْرَزَ منهج العقبي ووسائله المعتمدة أن كل شيء يخدم الفكرة ويسهّل تحقيقها في أرض الواقع ولا يتعارض مع جوهر الدين وروح الشريعة فلا تضر الإفادة منه ولا مانع من استعماله مادامت الغاية نبيلة تنشد الحق والخير والمتعة .فوظّف العقبي الشعر والنثر والفنون الجميلة والثقافة العامة في تحقيق فكرته،كلُّ ذلك ضمن ضوابط الدين والأخلاق الفاضلة والذوق الإنساني الرفيع والفطرة السليمة .

6- ولم يكن العقبي غرًّا ولا ساذجا ـــ ولاشيخا مُعَمَّمًا ـــ لا علاقة له بما تموج به المعمورة من آراء ونظريات في شؤون الحكم والسياسة والاقتصاد،بل كان رجلا سياسيا محنكا من الطراز العالي،فَتَغَيَّـــا لتحقيق أفكاره الإصلاحية العون من الجميع فدعا إلى تكوين الجمعيات والأحزاب،وفضح الاستعمار الأرعن الغاشم في أشكاله وتلوناته.وبرهن على أن الإنتماء إلى المحيط الأقرب إلى الإنسان أَمْثَلُ طريقة للاحتماء من الذوبان والتلاشي في كيانات غريبة تخالف قناعة المسلم ولا تلبي طموحاته ولا تحقّق له تفرُّده وخصوصياته.

فدعا إلى التشبث بالمحيط الأقرب ثُمَّ القريب وخاصّة ذاك الذي تجمعنا به نحن الجزائريين قواسم كثيرة من دين ولغة وإنتماء ووحدة مصير؛المحيط المغاربي ثم المحيط العربي والإسلامي ثم المحيط الإنساني العالمي.

7- برهن العقبي فعلا بمقالاته وخطبه وأشعاره ومواقفه وأفكاره وتصرفاته أن الذي يتخلى عن مقدساته ـــ فلسطين مثلا ـــ لَهُوَ شخص مغبون في حياته،والذي يفرِّط في جزء لا محالة يفرِّط في الكل .

8- كان منهج العقبي يعتمد الإسلام أولا وأخيرا وكل شيء لا يخدم الإسلام فالعقبي منه بريء.والذي لا يصدق مع الإسلام مهما تزيَّن بالشعارات وتَبَرْقَعَ بالكلمات المعسولة،فالأيام كفيلة بفضحه.

9- لقد كان منهج العقبي الإصلاحي منهجا سلفيا حركيا حاول تطبيقه في الواقع المعيش والوصول به إلى عمق أعماق المجتمع وإلى كل مفصل في بنية المجتمع الجزائري فلم يقتصر منهجه على جوانب محدودة، بل هدف إلى كل ما يمس المجتمع ويحقق صلاحه ورفاهيته من قريب أو من بعيد.

10- كما كان العقبي يحبّذ العمل الجماعي المنظَّم ويعمد إلى بناء الأفراد ثم الجماعة ثم الشعب بأكمله بعد الاطمئنان إلى كفاءة الأفراد وإخلاصهم للفكرة و المنهج

(*) يحسن قراءة، د/محمد فتحي عثمان،السلفية في المجتمعات المعاصرة،دار القلم الكويت ط/2 /1401 هـــ/1981م ،ص:6 وما بعدها. كذلك د/ محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، دار الفكر دمشق، 1991.

وأخيرا و ليس آخرا،ها نحن نأخذ نفسا (ترويحا عن النفس) ونتوقف عن الكتابة في هذا الموضوع الذي تطرقنا إليه في عملنا هذا،ولا أقول ختمنا البحث في تراث الشيخ الطيب العقبي(شعرا ونثرا)،ذلك لأن شخصية العقبي شخصية ثرية متعددة الجوانب والاهتمامات والحديث عنها ذو شجون والكتابة عنه ذات ذيول وذيول.أكون صادقا مع نفسي إذ أقول إنني أحس بالعجز ولو بالإدعاء حين أتصور أنني قد أفي بشخصي الضعيف وجهودي الفردية فأعطي للقارئ الكريم كل شيء عن العقبي والقضايا التي أجدها متناثرة في تراث الرجل.فهو شاعر وهو كاتب وهو خطيب وهو سياسي وهو مصلح وأشياء أخرى .

والحقيقة إنني أشعر براحة تامة وغبطة كبيرة حين أقرأ تراث العقبي وأجد فيه ـــ كما يجد لا محالة غيري ـــ قضايا ومواقف وأفكار ورؤى أصيلة وجديرة بالبحث والتقييم لإنصاف الرجل والحكم له أو عليه .

ولعل الأيام المقبلة إذا مَنَّ الله بالصحة والعافية ويسّر بفضله وكرمه ورفرفت على أيامنا ألطافُه الكريمة فنشرع في دراسة أو عمل آخر عن العقبي،كل ذلك من نصوصه ، شعرا ومقالة وخطبة أو عن غيره من رجال الإصلاح في الجزائر الذين أعطوها ما أمكنهم ومضوا إلى بارئهم راضين مرضيين.

فإلى ذلك الموعد.أسال الله العون والتوفيق وأتوجّه إليه سبحانه أن يمتّعني بالصحة والعافية وأن يُغلّبني على ضعفي فأسمو رغم الضنى والسقم،وأوظّف وقتي في الفائدة والإفادة،وللغير من القراء الحق في النقد والتصحيح والإثراء .

سبحانك سبحانك جلّ شانك لا يعتريك وحدك النقص وأنت أنت الكمال وأنت أنت الجمال ....سبحانك سبحانك غلب سلطانك ،مُنَّ علي بالشفا فأنت أنت خير من وعد ووفى .وقلت (ادعوني أستجب لكم) .

د/كمـــال عجّـــالي

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

الألف

1- آل خليفة ، محمد العيد ، الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائري 1979م .

2- الإبراهيمي ، محمد البشير آثار الإبراهيمي ج1 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط1-1393هـ 1978 م .

3- ابن رحمون، أبو بكر، الديوان(ش و ن ت) الجزائر 1980.

4- ابن العربي، القاضي أبو بكر، أحكام القرآن،تحقيق محمد على البجاوي القسم الثاني دار المعرفة، بيروت لبنان (د ت).

5- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ، الطرق الحكمية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت (د ت).

6- ابن منظور،أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري لسان العرب ج2 ، دار صادر بيروت ط 1412هـ/1992م.

المراجع العربية

الهمزة

1- أبو بكر عبد الرحمن ،الشعر الحديث في الحجاز،دار المريخ للنشر الرياض م ع السعودية (د ت).

2- أجرون، شارل روبير،تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور،(د م ج) الجزائر ط2، 1982 .

3- أرنولد، سير توماس، تراث الإسلام،عرّبه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله، دار الطليعة بيروت ط1978/3 .

4- أمين أحمد ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،دار الكتاب العربي بيروت لبنان (د ت) .

5- أمين عثمان ، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، مكتبة النهضة المصرية 1955
البـــــاء
1- ابن باديس،عبد الحميد ،تفسير ابن باديس ،منشورات المعارف مؤسسة للنشر و الطبع وهران الجزائر 1991 .
2- د/ بامية، عايدة ،تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ،ترجمة محمد صقر ،(د م ج) الجزائر 1982 .
3- برنيان، أندري و آخرون، الجزائر الماضي و الحاضر ، ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 م.
4- البستاني فؤاد أفرام، منجد الطلاب.
5- بروكلمان ، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ،نقله إلى العربية أمين فارس ،منير البعلبكي ،دار العلم للملايين بيروت ط1976/6.
6- بلقزيز ، عبد الإله ، إشكالية المرجع في الفكر العربي المعاصر ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع بيروت ط1412/1هـ 1992 م.
7- سعيد ،الإيديولوجية والحداثة قراءة في الفكر العربي المعاصر، م ث ع بيروت ط1 1987
8- البنعلي ، أحمد بن حجر آل بوطاعي ، الشيخ محمد بن الوهاب المجدد المفترى عليه ،تقديم الشيخ عبد الله الشب، دار الفتح الشارقة ط1415/1 هـ 1995 م.
9- البهي، محمد الدين ،الحضارة الإنسانية ، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة بوداود وشركاؤه ، الجزائر (د ت)
الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ،دار الفكر بيروت ط6 / 1973م
الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ، مشكلات الحكم والتوجيه ،دار الكتاب اللبناني بيروت ط1395/2هـ/1975م.
10-بوصصاف ، عبد الكريم ،
أ- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ،نشر دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر ط1 /1400 هـ /1980م

ب- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الجزائرية الأخرى (1931 ـــ 1845) ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار وحدة الطباعة بالروبية الجزائر 1996م .

11- بوعزيز يحي ،ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين ،دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر 1404 هـــ 1984 م.

12-البوطي، محمد سعيد رمضان،السلفية مرحلة زمنية مباركة لامذهب إسلامي ،دار الفكر دمشق،1990

– هذه مشكلاتنا، مكتبة الفارابي، دمشق سوريا، ط4م1416 هـــ-1995 م.

التـــــــاء:

1- تاورتة محمد العيد، نثر محمد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939 ،جمع وتوثيق ودراسة ،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث تحت إشراف دكتور محمد تكرمي عياد معهد الآداب و الثقافة العربية جامعة قسنطينة العام 1399 هـــ/1400- 1974م

2- تركي رابح ،التعليم القومي و الشخصية الوطنية،(ش و ن ت) الجزائر 1981 م .

الجيـــــــم:

1- جدعان فهمي،أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة الوطنية للدراسات و البحوث بيروت(د ت).

2- جلال يحي،السياسة الفرنسية في الجزائر من (1830-1960) ،دار المعرفة القاهرة ط1959/1م.

– جمعية العلماء المسلمين ،قانونها الأساسي ومبادئها الإصلاحية (المطبعة الإسلامية الجزائر)(د ت) .

3- الجندي أنور ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا، الدار القومية للطباعة و النشر القاهرة 1385هـــ 1965

4- جوليان شارل أندري،أفريقيا الشمالية ، ترجمة المنجي سليم وآخرين ،الدار التونسية للنشر (ش و ن ت) الجزائر 1336 هـ/1976م.

5- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام،ج4(د م ج) الجزائر/درا الثقافة بيروت لبنان 1402هـ/1982م.

الحــــاء

1- حربي محمد ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض ترجمة نجيب عياد صالح المثلوثي (موفم) للنشر طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة رعاية الجزائر 1994م

2- حماني أحمد،صراع بين السنة والبدعة،ج2 نشر دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر 1985 م .

3- حوراني ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م ، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر بيروت لبنان ط1977/3م.

الخــــاء

1- خذري علي،نقد الشعر في الدراسات الأدبية الحديثة في الجزائر،رسالة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي الحديث إشراف د/عبد الله الركيبي معهد الأدب واللغة العربية جامعة الجزائر العام الجامعي 1994/93م .

2- خرفي صالح،المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1983م.

3- الخطيب أحمد،حزب الشعب الجزائري ،ج1 (م وك) الجزائر 1986م.

4- د/خفاجي عبد المنعم ، خلود الإسلام ، دار الشهاب باتنة الجزائر 1986 م.

5- خير الدين محمد،مذكرات الشيخ محمد خير الدين،ج1،مطبعة دحلب الجزائر (د ت).

الــــدال

1- د.داود حفني حامد،تاريخ الأدب الحديث،تطوره معالمه الكبرى مدارسه،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983م .

2- دبوز محمد علي،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ج2 المطبعة العربية الجزائر،ط1391/1هـ 1971م.

الـــــــراء

1- رخيلة عامر،8ماي1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية،(د م ج)الجزائر 1995.

2- د.ركيبي عبد الله،الشعر الديني الجزائري الحديث،(ش ون ت)الجزائر 1401هـ/1981 م

القصة الجزائرية القصيرة،الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ط3 1397هـ/1979م

قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ط1397/1977/3 هـ.

3- د.رفلة فيليب،جمهورية الجزائر،إشراف الدكتور عز الدين فريد،تقديم أحمد توفيق المدني مكتبة الأنجلو المصرية (د ت) .

الـــــزاي

1- الزاهري محمد سعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية و تبشير،دار الكتاب العرب الجزائر 1983.

2- بن زايد عمار ، النقد الأدبي ، الجزائري الحديث ،(م و ك) الجزائر 1990م .

3- د.الزبيري محمد العربي،الثورة الجزائرية في عامها الأول ،دار البعث للطباعة و النشر قسنطينة الجزائر ط1 1404هـ/1984م .

4- د.زرمان محمد،الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفكر الإسلامي الحديث إشراف د/العربي دحو معهد الدعوة و أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر 95/94.

- فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ البشير الإبراهيمي) دار الصحوة للنشر .

- معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي .منشورات جامعة باتنة أبرز طبعة بمطبعة عمار قرفي باتنة.

5- د/ زروخي إسماعيل ، دراسات في الفكر العربي المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة /شركة دار الهدى عين مليلة الجزائر (د ت).
6- زوزو عبد الحميد،الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1914-1939)،(م و ك) الجزائر ط1985/2 م.

السيــــن

1- سابق سيد، العقائد الإسلامية ،دار الكتاب العربي بيروت لبنان (د ت) .
2- ستيوارد لوثروب الأمريكي،حاضر العالم الإسلامي،نقله إلى العربية الأستاذ عادل نويهض،مج1،مج2 دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ط1314/4هـ/1973م
3- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
4- د/ سعد الله أبو القاسم ،أفكار جامحة ،(م و ك) الجزائر 1981م
- الحركة الوطنية الجزائرية،ج3 المنظمة العربية للتربية و الثقافة العلوم ط 1975
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث،دار الآداب بيروت ط2 1977.
- محمد العيد آل الخليفة رائد الشعر الجزائري الحديث،دار المعارف القاهرة ط1976/2م.
5- ابن سمينة محمد،محمد العيد آل الخليفة دراسة تحليلية لحياته،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1992م .
6- السنوسي محمد الهادي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، المطبعة التونسية ط1926/1م .

الشيــــن

1- شريط عبد الله،الجزائر في مرآة التاريخ،مكتبة البعث قسنطينة الجزائر ط1 1965م
2- شريط عبد الله ـــ محمد الميلي،مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي،(م و ك) الجزائر 1985 م .
3- شعباني،الوناس،تطور الشعر الجزائري الحديث من 1945-1980،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1988م.

4- شيبان عبد الرحمن،مقدمة مجلة الشهاب،دار الغرب الإسلامي بيروت ط2000/1 .

الصـــــــاد

1- صاري الجيلالي ــ محفوظ قداش،الجزائر في التاريخ (المقاومة السياسية 1900-1954) الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري ،ترجمة عبد القادر بن حرث ،(م و ك) الجزائر 1988م .

2- الصديق محمد الصالح،شخصيات و مواقف،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1992م.

الطـــــــاء

1- الطمار محمد،تاريخ الأدب الجزائري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981م الحركة الإصلاحية ، في الفكر الإسلامي المعاصر الكتاب الثالث.

2- طهاري محمد،الشيخ عبد الحميد بن باديس،دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ط1999/1م.

مفهوم الإصلاح بين جمال الدين ومحمد عبده ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر الدار التونسية للنشر 1984 م.

العيـــــــن

1- بن عاشور محمد الطاهر،تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة،الشركة التونسية للتوزيع (م و ك) الجزائر 1985م .

2- عبده مصطفى،أثر العقيدة في منهج الفن الاسلامي،دار الإشراف للطباعة والنشر بيروت ط / 1410 هــ/1990 م.

3- عباد صالح ،المعمرون والسياسة الفرنسية والجزائر 187-1900م،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 م .

4- عباس فرحات،ليل الاستعمار،نقله إلى العربية أبو بكر رحال،مطبعة فضالة المغرب (د ت).

5- عباس محمد،محمد البشير الإبراهيمي أديبا،رسالة تقدم بها إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد إشراف د/ محسن الجمالي محرم 1404 هــ/ أكتوبر 1983 م .

6- عبد الرحمن عائشة،(بنت الشاطئ)،قيم جديدة للأدب القديم والمعاصر،مطبعة النهضة الجديدة القاهرة مصر 1966م .

7- د.عثمان محمد فتحي،السلفية في المجتمعات المعاصرة،دار القلم الكويت،ط2 /1401هـ /1981 م.

8- د/ كمال عجالي

- أبو بكر مصطفى بن رحمون حياته وشعره،(د م ج) الجزائر. 1991 ديوان أبو بكر مصطفى بن رحمون توثيق

- الطيب العقبي أديبا بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب الحديث إشراف د/العربي دحو جامعة قسنطينة – معهد اللغة .و الأدب العربي 1998/1997م .

- محمد بن عزوز البرجي وكتابه قواطع المريد،طبع باتنة للمعلوماتية والخدمات المكتبية باتنة الجزائر (د ت).

7- د/ العربي إسماعيل،الدراسات العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 م .

8- العسلي بسام ،الأمير خالد الهاشمي الجزائري،دار النفائس بيروت ط1982/1.

- عبد الحميد بن باديس وبناء القاعدة الثورية دار النفائس بيروت ط2 1983م.

9- د.عطية محسن محمد،غاية الفن،دراسة فلسفية نقدية،توزيع دار المعارف مصر1991م .

10- العقاد عباس محمود،أثر العرب في الحضارة الأوروبية،دار المعارف مصر ط1973/8 م.

11-ابن العقون،عبد الرحمن بن إبراهيم،الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،ج1+2،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 84.

12-عكاشة شايف،الصراع الحضاري في العالم الإسلامي،(د م ج) الجزائر .

13–العلوي محمد الطيب،مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 م حتى ثورة نوفمبر 1954،م دار البعث قسنطينة الجزائر ط1985/1 .
14–د.عمارة،محمد،الجامعة الإسلامية وفكرة القومية عند مصطفى كامل،م ع للدراسة و النشر

– مسلمون ثوار،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1979/2
– معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام،دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع 1997
15–العوّا محمد سليم،في النظام السياسي للدولة الإسلامية،دار الشروق القاهرة 1989 .

الغيــــــن

1– الغزالي محمد،مئة سؤال
2– حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام و إعلان الأمم المتحدة عن الإسلام، الطبعة الجزائرية الأولى مطبعة رحاب الجزائر 1419هـ/1999م

الفـــــاء

1– فضلاء محمد الطاهر،أعلام الجزائر،الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكراه الأولى،نشر وطبع وتوزيع مكتبة البعث قسنطينة ط1404/1هـ/1984م.
– دعائم النهضة الوطنية الجزائرية،دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة ط1404/1 هـ/1984 .
2– الطيب العقبي رائد للإصلاح الديني في الجزائري،منشورات وزارة الثقافة و السياسة مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث الجزائر،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية 1985

القـــــاف

1– قاسم عون الشريف،الإسلام والثورة الحضارية،دار العلم للملايين بيروت 1980
– الدين في حياتنا دار العلم بيروت لبنان 1400هـ/1980م.
2– قاسم مولود،إنيّة وأصالة،منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1395هـ/1975م.
3– د.قدورة زاهية،تاريخ العرب الحديث،دار النهضة العربية بيروت لبنان 1975 م.

4- د.القرضاوي،يوسف،الصحوة الإسلامية(من أجل صحوة راشدة تجدد الدين و تنهض بالدنيا)ط1 1408هـ1988م (دون ذكر مكان الطبع).
5- قطب سيد،في التاريخ فكرة و منهاج،دار الشروق ط8 /1422هـ 2001 م
6- قنانش محمد،الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1903،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1982م

الكـــاف

1- كلود هنري وآخرين،الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ،ترجمة محمد عياش منشورات مكتبة المعارف بيروت 1971م.

الميـــــم

1- ماكسيمنكو، فلادمير، الأنتليجانسيا،المثقفون،أفكار ونزعات،ترجمة عبد القادر بوباكير،دار الحكمة،دار النهضة الجزائرية ط1 1984
2- د.المحافظة علي،الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914)،الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ط2 1978م .
7- المدني، أحمد توفيق ، كتاب الجزائر،(م و ك) الجزائر 1983م
8- مراد، علي ، الإسلام المعاصر،ترجمة مراد،مطبعة دحلب الجزائر .
9- د.المراكشي، محمد الصالح،تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، كلية الآداب و العلوم الإنسانية،الدار التونسية للنشر،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (دت).
10- د/مرتاض، عبد المالك

- الجدل الثقافي بين المشرق و المغرب،دار الحداثة بيروت لبنان ط1
- فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954،(د م ج) الجزائر 1983-1982
- نهضة الأدب المعاصر في الجزائر 1925-1954،(ش و ن ث) الجزائر 1985

11-مريوش، أحمد،الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف د.أبو القاسم سعد الله حامعة الجزائر معهد التاريخ بوزريعة 92/91

12-المسعدي، محمود ، تأصيل كيان،نشروتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله (تونس) (دت).

13-ملحم حسن،محاضرات في النظم السياسية المقارنة ،ط2 عام 1980م

14-المودوي أبو الأعلى ،

- مبادئ الإسلام،نشر و توزيع مكتبة رحاب الجزائر 1406هـ/1986
- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه،دار الشهاب باتنة.(دت).
- نحن و الحضارة الغربية،(د م ج) الجزائر 1985
- نظام الحياة في الإسلام،الدار السعودية للنشر و التوزيع (د ت).

النـــــــون

1- د.ناصر محمد،الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925 - 1975،دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط 1985 م

- الصحف العربية الجزائرية (1847-1934) ش و ن ت الجزائر 1980
- المقالة الصحفية (ج+2) نشأتها و تطورها وأعلامها ج1-2 (1903-1931) ش و ن ت الجزائر 1398هـ/1978 م

2- نويهض عادل،معجم أعلام الجزائر،من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف الترجمة والنشر بيروت لبنان ط2 1400هـ/1980م.

الهــــــاء

1-هادف مصطفى،المشروع العلماني الفرنسي وموقف جمعية العلماء المسلمين منه،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (تخصص الدعوة والإعلام والاتصال) إشراف د.محمد زرمان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كلية أصول الدين و الحضارة الإسلامية قسم الدعوة و الإعلام و الاتصال عام 2002.

3-هونكه زغريد،شمس العرب تسطع على الغرب،منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط1400/4هـ/1980 م

الـــــــواو

1- وزارة الإعلام،كيف تحرّرت الجزائر،الذكرى الخامسة العشرون لثورة نوفمبر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1979 م

اليـــــــاء

1- يحياوي الطاهر،أحاديث في الأدب والنقد،شركة الشهاب الجزائر (دت).

2- د/ اليعقوبي،محمد،معجم الفلسفة،الناشر المكتبة الجزائرية الجزائر،مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1399هـ/1979 م .

المجلات

1- مجلة الثقافة (وزارة الثقافة والاتصال الجزائرية)

- ع66 س11 محرم/صفر 1401 هـ نوفمبرديسمبر 1981 م
- ع86 س15 جمادى الثانية/رجب 1405هـ مارس أفريل 1985م
- ع87 س15 شعبان/رمضان 1405هـ ماي يونيو 1985م
- ع109 س 20 يوليو/أغسطس 1995م
- ع112 س21 1996 .

2- مجلة أول نوفمبر (تصدر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين في الجزائر) ع53 عام 1981م

3- مجلة الحدث العربي والدولي (مجلة سياسية ثقافية تصدر بباريس فرنسا) ع28 أيار 2003

4- مجلة الرؤية (تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م) ع2 جوان 1996م

5- مجلة الرواسي (تصدرها جمعية الاصلاحالاجتماعي والتربوي لولاية باتنة الجزائر)ع12 أكتوبر 1995م

6- مجلة الصراط (مجلة كلية أصول الدين للبحوث والدراسات الاسلامية) الجزائر ع 2 س2 ذو الحجة 1420 هـ مارس 2000م

7- الموافقات : (تصدر دوريا عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين الجزائر)ع4 س4 جوان 1995م ، ع5 س5 جوان 1996م

الجرائد

1- الإصلاح: ع/1 8 سبتمبر 1927

- ع2 /5 سبتمر 1929م
- ع3/ 12 ديسمبر 1929م
- ع12/ 6 فيفري 1930م
- ع15 /28 ديسمبر 1939م
- ع18 /10فيفري 1940م
- ع21 /05 أفريل 1940م
- ع29 29/ أوت 1940م
- ع36 07/ فيفري 1941م
- ع43 /04 سبتمبر 1941م
- ع46 /10 افريل 1947م
- ع47/ 01 ماي 1947م
- ع49 / 17 ماي 1947م
- ع50/ 26 ماي 1947م
- ع51/ 03 جوان 1947م
- ع53/ 25 جوان 1947م
- ع68 / 14 نوفمبر 1947م

2- الأمــــة:ع 118 20 افريل 1937

الأوراس :ع من 31 ماي إلى 06 جوان 1993م

البـــرق:ع1/ 07 مارس 1927 م

- ع/2 14/ مارس 1927 م
- ع7/ 18 أفريل 1927 م
- ع/17 04 جويلية 1927م
البصـــائر: ع3/ 17 جانفي 1936م
- ع4/ 24 جانفي 1936 م
- ع/45 27 نوفمبر 1963م
- ع/60 26 مارس 1937 م
- ع /78 13 اوت 1937م
السنّـــــة: ع1/ 10افريل 1933م
- ع3/ 24 افريل 1933م
- ع/5 8 ماي 1933م
الشريــعـــة: ع6/ 12 اوت 1933م
الشـــروق: ع26 من 20 إلى 27 جانفي 1994
الشــهـــــاب: ع/1 12 نوفمبر 1925م
- ع3 / 26 نوفمبر 1925 م
- ع6 / 17 ديسمبر 1925 م
- ع8 / 31 ديسمبر 1925 م
- ع9 / 07 جانفي 1926م
- ع17 / 04 مارس 1926 م
- ع105 / 14 جويلية 1927م
- ع119 / 27 أكتوبر 1927م
- ع 124 / 01 ديسمبر 1927م
صدى الصحـــــراء: ع3 / 07 ديسمبر 1925م
العقـيـــــــدة: ع 97 / 07 جوليت 1992 م
- ع98 / 15 جوليت 1992م

المنـــــار: ع17 / 06 فيفري 1953 م
منبر الشعـــب : ع ممتاز 03 أكتوبر 1947 م
المنتـــقـــد: ع5 /30جويلية 1925 م
- ع 6/ 06 أوت 1925م
- ع 13/ 24 سبتمبر 1925م
- ع15 / 08 أكتوبر 1925م
- ع 16/ 15 أكتوبر 1925م
- ع 17/ 22 أكتوبر 1925م
- ع18 / 29 أكتوبر 1925م
المنـــقـــذ: ع7 /29 ديسمبر 1991م

ندوات و محاضرات

1-أحمد مريوش (ندوة مع الشيخ أحمد حماني) الجزائر العاصمة 08 فيفري 1984م (مرقونة على الآلة الكاتبة)

2-أحمد شوقي (الطيب العقبي ورحلة الاصلاح مع جمعية العلماء المسلمين)، (محاضرة ضمن محاضرات الأيام الدراسية الثانية حول الشخصيات العلمية والنضالية ، دائرة طولقة3ـــ 5 جوان 1987م

3-د.محمد زرمان (محاضرة):ملامح الخطاب النهضوي في فكر الطيب العقبي، محاضرة ألقيت في ملتقى الشخصيات النضالية والعلمية الجزائرية للشيخ الطيب العقبي،دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة يومي (7 ـــ 9) ماي 1997م.

كتب اجنبية

1-Mehssas , Ahmed , le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1 ère guerre Mondiale a 1954 , Edition Barkat , Alger

2- Merade Ali , le réformisme Musulman en Algérie 1925 a 1940 , Paris , 1967.

فهرس الموضوعات

ردمك: ISBN : 978-9947-24-191-2
الإيداع القانوني: 2007-1356

سحب الطباعة الشعبية للجيش
الجزائر ـ 2007